ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري

تصنيف
أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي
المعروف بأبي شامة

علق عليه وخرج أحاديثه
أبو يعقوب
نشأت بن كمال المصري
عفا الله عنه



المكتبة الإسلامية
للنشر والتوزيع
ت وفاكس ٤٩٩١٢٥٤



ضوء الساري
إلى معرفة رؤية الباري

بسم الله الرحمن الرحيم

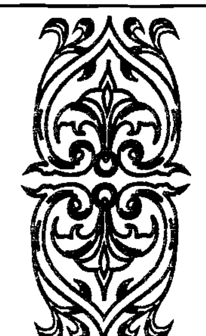
الناشر



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٨٩٠٤/ ٢٠٠٧





• الإدارة والفرع الرئيسي:

٣٣ ش صعب صالح - عين شمس الشرقية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت وفاكس: ٤٩٩١٢٥٤/ ٤٩٠٠٦٠٦/ ٤٩٠٠٨٠٨

• فرع الأزهر: ١ ش البيطار خلف جامع الأزهر - درب الأتراك - ت: ٥١٠٨٠٠٤

E-mail: islamya2005@hotmail.com

ضوء الساري
إلى معرفة رؤية الباري

تصنيف

الإمام الحافظ القارئ أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي

المعروف بأبي شامة

المتوفى سنة ٦٦٥ هـ

رحمه الله تعالى

علّق عليه وخرّج أحاديثه

أبو يعقوب

نشأت بن كمال المصري

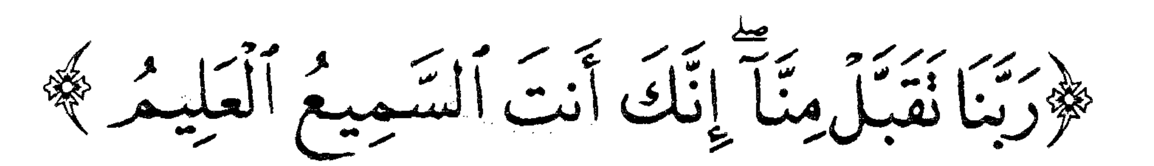
عفا الله عنه

الناشر



المكتبة الإسلامية
للنشر والتوزيع
ت وفاكس: ٤٩٩١٢٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فهذا الكتاب الجليل ـ على صغر حجمه ـ يتناول مسألة عقدية كبيرة وخطيرة، ألا وهي «رؤية الله ﷻ».

وهذا الكتاب قد طُبع قديمًا سنة (١٤٠٥هـ) بتحقيق الدكتور أحمد بن عبد الرحمن الشريف.

وقد مالت نفسي للتعليق عليه وتخريج أحاديثه تخريجًا

مختصرًا؛ ليعم نفعُهُ المسلمين بإذن الله تعالى، وإسهامًا في تثبيت عقيدة أهل السنة، وأملًا في أن يجعلني الله تعالى من أهل رؤيته في الآخرة، ومع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين طريقته ومنهجه في هذا الكتاب فقال: «وقد كثر كلام العلماء من أصحابنا من أهل السنة في تقرير هذه المسألة: من المفسرين، والمُحَدِّثين، والمتكلمين؛ كلٌّ منهم يقررها بعلمه، وما اهتدى إليه من بحثه وفهمه. وقد رأيتُ أن أجمع محاسن كلام كل طائفة منهم، وأنوب في اختصار ذلك عنهم، في جزء لطيف يحصل به لأهل السنة التعريف، وللمبتدعين التعنيف. وقد سميتهُ ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري عَزَّ وَجَلَّ» انتهى.

وقد مشى المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على طريقة أهل السنة في إثبات رؤية الله تعالى بالأدلة النقلية ثم العقلية، وفي خلال ذلك لم يدع رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهة للمعتزلة والجهمية النافين للرؤية إلا فنَّده ودحضه وردَّه، وقد توسع في ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الدكتور أحمد الشريف: فعاش مع كتب التفسير باحثًا ومنقبًا، وتتبع نصوص الأحاديث الصحيحة، وغاص في كتب اللغة وكتب علم الكلام، وجمع من هذا كله محاسن كل طائفة منهم، واختصره في هذا الكتاب ليحصل به لأهل السنة التعريف وللمبتدعة التعنيف. انتهى.

وهذه المسألة شغلت جانبًا كبيرًا من كتب اعتقاد السلف

الصالح، فلا يخلو كتاب من كتب اعتقاد السلف الصالح من دراسة هذه المسألة، بل قد أفردها بعضهم بالتصنيف، ومنهم:

١- الإمام أبو بكر الآجري، وله كتاب «التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة» وهو مطبوع، وهو جزء من كتابه العظيم الجليل «الشريعة».

٢- الإمام الدارقطني، وله كتاب «رؤية الله ﷻ».

٣- الإمام ابن النحاس، وله جزء صغير مطبوع في رؤية الله ﷻ.

٤- الإمام ابن حجر العسقلاني، وله رسالة صغيرة مطبوعة، وهي «الغنية في مسألة الرؤية».

٥- الإمام الشوكاني، وله رسالة صغيرة مطبوعة.

وهذا الصنيع منهم؛ لإقرار وتقرير العقيدة الصحيحة السليمة التي جاء بها الكتاب والسنة بيضاء نقية.

وقد بيَّن الإمام الطحاوي رحمه الله عقيدة أهل السنة في هذه المسألة فقال: « وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ. وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ».

وقال ابن أبي العز رحمه الله :

الْمُخالف في الرّؤية: الجهميّة والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإماميّة. وقولهم باطلٌ مردودٌ بالكتاب والسّنّة. وقد قال بثبوت الرّؤية الصّحابة والتّابعون، وأئمّة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدّين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السّنّة والجماعة.

وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدّين وأجلّها، وهي الغاية الّتي شمّر إليها المشمّرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الّذين هم عن ربّهم محجوبون، وعن بابه مردودون.

وقال رحمه الله :

المخالف في الرّؤية : الجهميّة والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإماميّة. وقولهم باطلٌ مردودٌ بالكتاب والسّنّة. وقد قال بثبوت الرّؤية الصّحابة والتّابعون، وأئمّة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدّين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السّنّة والجماعة.

وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدّين وأجلّها، وهي الغاية الّتي شمّر إليها المشمّرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الّذين هم عن ربّهم محجوبون، وعن بابه مردودون.

وقال رحمه الله:

واتّفقت الأمّة على أنّه لا يراه أحدٌ في الدّنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلّا في نبيّنا ﷺ خاصّة: منهم من نفى رؤيته

بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ. وحكى القاضي عياضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الشّفا» اختلاف الصّحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربّه بعين رأسه، وأنّها قالت لمسروقٍ حين سألها : هل رأى محمّدٌ ربّه ؟ فقالت : لقد قفّ شعري ممّا قلت، ثمّ قالت : من حدّثك أنّ محمّدا رأى ربّه فقد كذب. ثمّ قال : وقال جماعةٌ بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعودٍ وأبي هريرة رضي الله عنهما ،واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدّنيا جماعةٌ من المحدّثين والفقهاء والمتكلّمين. وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه : أنّه ﷺ رأى ربّه بعينه، وروى عطاءٌ عنه : أنّه رآه بقلبه. انتهى.



ترجمة المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، العلامة ذو الفنون شهاب الدين أبو القاسم، المقدسي الأَصل الدمشقي الشافعي، الفقيه المقرئ النحوي، المعروف بأبي شامة.

وقيل له أبو شامة لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة.

ولد بدمشق في إحدى الربيعين سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وقرأ القراءات على الشيخ علم الدين السخاوي.

وسمع بالإسكندرية من أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز، وغيره، وعني بالحديث، ودأب وحصل، وقرأ بنفسه، وكتب الكثير من العلوم، ودرس وأفتى، وبرع في العربية، وصنف كتباً كثيرة، من ذلك شرحاً نفيساً للشاطبية، واختصر «تاريخ دمشق» مرتين الأولى في خمسة عشر مجلداً والثانية في خمسة، و«شرح القصائد النبوية» للسخاوي في مجلد، وله «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية»، يعني نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، و«كتاب شرح الحديث المقتفي في مبعث المصطفى»، و«كتاب ضوء الساري في معرفة الباري»، و«المحقق في علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول»، و«الباعث على إنكار البدع والحوادث»، و«كتاب السواك»، و«كشف حال بني عبيد»، و«الأصول من الأصول»، و«مفردات القراء»، و«مقدمة في النحو»، و«نظم مفصل الزمخشري».

قال ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غاية النهاية»:

وكتب وألف وكان أوحد زمانه صنف الكثير في أنواع من العلوم فشرح الشاطبية مطولًا ولم يكمله ثم اختصره وهو الشرح المشهور و...«ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري» .... و«كتاب الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز» و«نظم المفصل» واختصر تاريخ دمشق لابن عساكر مرتين ...

قال ابن كثير الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

كان مطرح التكلف ربما ركب الحمار بين المداوير، ولي مشيخة الحديث الكبرى بالأشرفية ومشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية وقصد مشيخة الإقراء الكبرى بأم الصالح فلم تحصل له مع شرط واقفها وسيأتي ما اتفق له فيها في ترجمة بياض، ولما كان في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستمائة حضر إليه ببيته بطواحين الأشنان اثنان لا يعرف من سلطهما فضرباه ضرباً عظيماً كاد أن يموت منه ثم ذهبا فتوفي في شهر رمضان منها في تاسع عشرة ودفن خارج باب الفراديس بدمشق وزرت قبره على يسار المار إلى مرج الدحداح رَحِمَهُ ٱللَّهُ . انتهى.

قال الصفدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الوافي بالوفيات»:

وكتب الكثير من العلوم وأتقن الفقه ودرس وأفتى، وبرع في العربية وصنف شرحاً نفيساً للشاطبية، و«كتاب ضوء القمر الساري إلى معرفة الباري»...، و«شيوخ البيهقي» وله غير ذلك، وأكثرها لم يفرغها.

وذكر أنه حصل له الشيب وله خمس وعشرون سنة، وولي

مشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، وكان متواضعاً مطرحاً للتكلف.

وقال ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الشافعية»:

وختم القرآن وله دون عشر سنين وأتقن فن القراءة على السخاوي وله ست عشرة سنة وسمع الكثير وأخذ عن الشيخين عز الدين بن عبد السلام وابن الصلاح.

قال ابن كثير: وكان ذا فنون كثيرة أخبرني الحافظ علم الدين البرزالي عن الشيخ تاج الدين الفزاري أنه كان يقول: بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد، قال الذهبي: وكتب الكثير من العلوم وأتقن الفقه ودرس وأفتى وبرع في فن العربية. انتهى.

وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الحفاظ»:

وكان ثقة حافظاً متيقظاً حسن المذاكرة مشهوراً بالحديث حسن الديانة رضي الأخلاق ولي مشيخة دار الحديث النورية.

دخل عليه اثنان جبليان إلى بيته الذي بآخر المعمور من حكر طواحين الأشنان في صورة فتيا، فضرباه ضرباً مبرحاً كاد يتلف منه، ولم يدر به أحد ولا أغاثه، وتوفي في تاسع عشر رمضان ودفن بباب الفراديس.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جرت لي محنة بداري بطواحين الأشنان فألهم الله الصبر ولطف، وقيل لي: اجتمع بولاة الأمر، فقلت: أنا قد فوضت أمري إلى الله وهو يكفينا.

ضوء الساري
إلى معرفة رؤية الباري

تصنيف

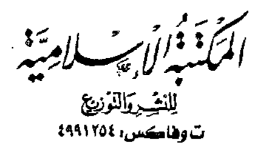
الإمام الحافظ القارئ أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي
المعروف بأبي شامة
المتوفى سنة ٦٦٥ هـ
رحمه الله تعالى

علق عليه وخرج أحاديثه

أبو يعقوب
نشأت بن كمال المصري
عفا الله عنه

الناشر





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مصرف الأقدار، وخالق الأسماع والأبصار ، ومكور الليل على النهار، وكل شيء عنده بمقدار.

وصلواته وسلامه على كل عبد مصطفى مختار من الملائكة والأنبياء، وسائر الأولياء الأبرار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾.

وأخص بأطيب الصلاة والسلام نبينا محمدًا وآله وصحبه الأخيار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، الذين جاهدوا الكفار، وقاتلوا الفجار، وفتحوا الأمصار ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ والتابعين لهم بإحسان الذين رضي عنهم الجبار، ووقاهم عذاب النار، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وأمر أن يقال لهم فيها، ولمن سلك طريقهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

ورضي الله عن أئمة العلم المتبعين للآثار، المتمسكين بالأحاديث النبوية والأخبار، القامعين بها كل مبتدع مكار، ظلوم كفار، والدامغين بها شُبه أولي الضلال والبوار، حتى ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

وهؤلاء هم المتفقِّهون في الشريعة المستنبطون منها المتعظون بها، المتمثلون قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ المؤمنون بكل ما جاء في القرآن وصح في الحديث المنقول، غير عادلين به عن ظاهره ما لم تنكره العقول، فهم لا يُؤَوِّلون فيها إلا ما ألجأت الضرورة إلى تأويله، ولا يردون من الأثر إلا ما كان الضعف في طريقه وسبيله، وهذه طريقة الأولين من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين، إلى أن ظهرت طائفة تسمى «المعتزلة»(١) رَدَّتْ من الآثار كثيرًا، وأوَّلت من الآيات والأخبار ما كان ظاهره على فهمها عسيرًا، وخالفت في رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الدار الآخرة، مع أن في ذلك دلالة آيات ظاهرة، ونصوص أحاديث صحيحة متظاهرة.

---

(١) المعتزلة فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجًا عقليًا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري.

وللمعتزلة أصول خمسة، وهي:

١- التوحيد: ويقصدون به نفي الصفات الإلهية كلها.

٢- العدل: ويقصدون به أن الله لم يخلق أفعال العباد.

٣- الوعد والوعيد: ويقصدون به أن الله تعالى يجب عليه إنفاذ وعده ووعيده،وترتب على ذلك تكفير مرتكب الكبيرة.

٤- المنزلة بين المنزلتين: ويقصدون أن المسلم فاعل الكبيرة في منزلة بين الجنة والنار!

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويريدون به تكفير حكام المسلمين والخروج عليهم وحمل السلاح في وجوههم.

ونرجو من الذي وَقَّفنا عليها، وأوصلنا إليها، ورزقنا الإيمان به، وفَهْمَ شريعته: الفوز في جنات عدن برؤيته، والالتجاء إلى حَرَمِهِ بِمَنِّهِ وكرمه.

وقد كان الشيخ أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ(٢) يرى رأي المعتزلة في هذه المسألة وغيرها إلى أن رأى النبي ﷺ في المنام قال: فقال لي: يا أبا الحسن، أوما كتبت يعني في الحديث أن الله تعالى يُرى في الآخرة ؟ فقلتُ: بلى يا رسول الله. قال: فما الذي يمنعك من القول به ؟ قلتُ: أدلة العقول منعتني فتأولتُ الأخبار. فقال : وما قامت أدلة العقول عندك على أن الله تعالى يُرى في الآخرة ؟ فقلتُ: يا رسول الله إنما هي شُبَهٌ، فقال لي: تأملها، وانظر فيها نظرًا مستوفيًا فليست بشُبه بل هي أدلة . قال أبو الحسن : فلما انتبهتُ فزعتُ فزعًا شديدًا، وأخذتُ أتأمل ما قاله ﷺ فوجدتُ الأمر كما قال، فقويتْ أدلة الإثبات في قلبي، وضعفتْ أدلة النفي.

---

(٢) علي بن إسماعيل ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ، والأشعريون قبيلة يمنية معروفة.

وكان الشيخ أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ على مذهب المعتزلة، ثم مَنَّ الله عليه بالهدى، فربع عنه إلى مذهب السلف، وجَهَرَ بذلك، وبيَّن فساد ما هُم عليه، وله في ذلك عدة مصنفات، منها «الإبانة عن أصول الديانة» وأسأل الله العون على تحقيقه والتعليق عليه – وهو غير كتاب «الإبانة» لابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم رآه ليلة أخرى فقال له: تأمل سائر المسائل، ففعل، فكان هذا سبب رجوعه عن مذهب الاعتزال إلى نصرة مذهب أهل السنة[٣].

---

(٣) قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة»: وندين بأن الله يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ.

ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ وإن موسى ﷺ سأل الله ﷻ الرؤية في الدنيا وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكًّا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني مشرقة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني رائية.

ومما يدل على أن الله تعالى يُرى بالأبصار قول موسى ﷺ : ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ولا يجوز أن يكون موسى صلوات الله عليه وسلامه - وقد ألبسه الله جلباب النبيين وعصمه بما عصم به المرسلين - قد سأل ربه ما يستحيل عليه فإذا لم يجز ذلك على موسى ﷺ علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلًا وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى، ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تعالى كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى ﷺ وعلموه هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى ﷺ وهذا مما لا يدعيه مسلم.

مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ فلما كان الله تعالى قادرًا على أن يجعل الجبل مستقرًا كان قادرا على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى ﷺ فدل ذلك على أن الله تعالى قادر أن يري عباده نفسه وأنه جائز رؤيته.

قال الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال أهل التأويل : النظر إلى الله ﷻ ولم ينعم الله تعالى على أهل الجنة بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له، وقال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: النظر إلى الله ﷻ وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ لقيه

المؤمنون رأوه وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين.

ومما يدل على إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار رواية الجماعات من الجهات المختلفة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته» والرؤية إذا أطلقت إطلاقًا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان.

ومما يدل على رؤية الله تعالى بالأبصار أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله ﷻ، وإنما لا يجوز أن يرى المعدوم، فلما كان الله ﷻ موجودًا مثبتًا كان غير مستحيل أن يُرينا نفسه ﷻ، وإنما أراد من نفى رؤية الله ﷻ بالأبصار التعطيل، فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحًا أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

دليل آخر : ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله تعالى يرى الأشياء وإذا كان للأشياء رائيًا فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرينا نفسه، وذلك أن من لم يعلم نفسه لا يعلم الأشياء فلما كان الله تعالى عالمًا بالأشياء كان عالمًا بنفسه فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء، ولما كان الله ﷻ رائيًا للأشياء كان رائيًا لنفسه وإذا كان رائيًا لها فجائز أن يرينا نفسه كما أنه لما كان عالمًا بنفسه جاز أن يعلمناها وقد قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ فأخبر أنه يسمع كُلًّا منهما ويراهما، ومن زعم أن الله ﷻ لا يجوز أن يرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله ﷻ رائيًا ولا عالمًا ولا قادرًا لأن العالم والقادر الرائي جائز أن يرى.

دليل آخر: إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من العيش السليم والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله تعالى بالأبصار، وأكثر من عبد الله تعالى عبده للنظر إلى وجهه الكريم - أرانا الله إياه بفضله - فإذا لم يكن بعد رؤية الله ﷻ أفضل من رؤية نبيه ﷺ وكانت رؤية نبي الله أفضل لذات الجنة كانت رؤية الله ﷻ أفضل من رؤية

أخرج هذه الحكاية بطولها الحافظ أبو القاسم(٤) في كتاب «تبيين كذب المفترى فيما نسبه إلى أبي الحسن الأشعري»(٥).

وقد كثر كلام العلماء من أصحابنا من أهل السنة في تقرير هذه المسألة: من المفسرين، والمُحَدِّثين، والمتكلمين(٦)؛ كلٌّ منهم يقررها بعلمه، وما اهتدى إليه من بحثه وفهمه.

وقد رأيتُ أن أجمع محاسن كلام كل طائفة منهم، وأنوب في اختصار ذلك عنهم، في جزء لطيف يحصل به لأهل السنة التعريف، وللمبتدعين التعنيف.

وقد سميتهُ « ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري ﷻ » .

والله تعالى يجلو بصائرنا بنور حكمته، ويجعلنا أبدًا خُدَّام

نبيه ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين النظر إلى وجهه الكريم وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي لأن رؤية الرائي تقوم به فإذا كان هذا هكذا وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيهًا ولا انقلابًا عن حقيقة ولم يستحل على الله ﷻ أن يري عباده المؤمنين نفسه في جنانه.

(٤) أبو القاسم ثقة الدين: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، صاحب تاريخ دمشق المطبوع في (٧٢) مجلدًا، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٥٧١ هـ .

(٥) «تبيين كذب المفتري» (ص: ٤٢-٤٣) لابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٦) لعل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقصد بذلك علماء السنة المنشغلين بالرد على أهل الكلام، على طريقتهم الكلامية الفلسفية، أما أن يكون المتكلمون والفلاسفة والمناطقة من أهل السنة مطلقًا ففيه نظر، لأن طريقة السلف تذمُّ علم الكلام وتنهي عنه، لما فيه من مفاسد وانحرافات وشغل عن الوحي المقدس.

شريعته، فاهميها ومعلميها، مدحضين شُبه كفارها، ومبتدعيها، وأن يصلح أحوالنا، ويختم بالصالحات أعمالنا.

❁ ❁ ❁

فنقول: أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يُرى بالأبصار في الدار الآخرة خلافًا للمعتزلة.

والدلائل السمعية دالة على حصول الرؤية، وشبهات المعتزلة في امتناع الرؤية باطلة، فوجب علينا البقاء على تلك الظواهر.

والأدلة السمعية[٧] مستفادة من القرآن ومن السنة الثابتة.

---

(٧) أهل العلم يقسمون الأدلة إلى نوعين: الأول (الأدلة السمعية) يعني المسموعة، وهذا هو القرآن والسنة. والثاني (الأدلة العقلية) يعني النظرية، القائمة على النظر والفهم، وهذه الثانية تتبع للأولى، وفرع عنها وتؤيده، ولا يصح أبدًا أن تخالفها، ولا أن تُقدم عليها.

فصل في أدلة القرآن وهي أربعة

الأول: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي مشرقة بالنعيم حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ والمراد بهذا النظر: الرؤية المُدَّعاة لوجوه:

الوجه الأول: أن هذا التفسير منقول عن الصحابة والتابعين.

أخرج الحافظ البيهقي[٨] بسنده عن ابن عباس: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: نظرتْ إلى الخالق.

وعن الحسن[٩] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها عَجَلّ، حسَّنها الله عَجَلّ بالنظر إليه، وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها[١٠].

قال[١١]: ورُوِّينا في ذلك عن عكرمة وغيره من التابعين[١٢].

قلتُ: وكأن تفسير الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ يشير إلى أن قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ كأنه بيان لسبب النضرة الحاصلة في وجوههم، كأنه قيل: ما سبب نضرتها؟ فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وقال محمد بن كعب القرظي: نضّر الله تعالى تلك الوجوه،

---

(٨) في «الاعتقاد» (ص: ١٣٣) وفي إسناده ضعف، ورواه اللالكائي في «السنة» (٧٩٩) من وجه آخر وفي إسناده كذلك ضعف، كما بينته في تخريجه هناك.

(٩) يعني: الحسن البصري، توفي سنة ١١٠ هـ.

(١٠) في «الاعتقاد» (ص: ١٣٣) وفي إسناده ضعف، ورواه اللالكائي في «السنة» (٨٠٠) وفي إسناده كذلك ضعف، كما بينته في تخريجه هناك.

(١١) يعني البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١٢) ذكر اللالكائي في «السنة» (١٣٢/٢) أنه يروى عن الحسن وعكرمة ومجاهد ومحمد بن علي بن الحسين وزيد بن علي بن الحسين وقتادة والضحاك.

وحَسَّنها للنظر إليه.

وهذا معنى آخر غير معنى قول الحسن.

هذا أثبت الحُسْنَ لها قبل النظر لتحصل لها أهلية النظر إلى خالقها، والْحَسَنُ جعل الحُسْنَ لها حاصلًا بسبب النظر، وكِلَا المعنيين حَسَنٌ.

الوجه الثاني من الأدلة على أن المراد بالنظر في الآية الرؤية: هو أن نقول: ظهر امتناع حَمْله على غير ذلك مما استعملتْ فيه العرب لفظ النظر فتعين ما ذكرناه.

بيانه: أنه اسْتُعْمل النظر لغير الرؤية في ثلاثة معانٍ:

منها: نظر التفكر والاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

ومنها: نظر التعطف والرحمة، كقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾.

ومنها: نظر الانتظار، كقوله ﷻ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾.

فهو بالمعنى الأخير وهو الانتظار معدًّى بنفسه لا بحرف جر، وبالمعنيين الأَوَّلين معدًّى بحرف الجر وهو «إلى» كما ذكرنا من الأمثلة.

وقد يُعدَّى نظر التعطف بحرف اللام نحو: (نظرتُ لفلان) إذا رعيتُ حقه، ويُعدَّى نظر التفكر بـ«في» نحو: (نظرتُ في الأمر) إذا

تفحصتُ عنه وبحثتُ.

قال إمام الحرمين أبو المعالي ابن الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١٣)]:

وجه الدليل من الآية واضح يغني بوضوحه عن بسط القول، وكشفه، ثم ذكر معاني النظر، ثم قال: وإنما يُتوقع تردد النظر بين جهات المعاني إذا لم يقيد بـ«إلى» فإذا قُيد به وعُدّي لم يُفهم منه إلا الرؤية الحقيقية، فتعين حَمْلُ الآية على الرؤية والإبصار.

قلت: وقد بسط جماعة من أصحابنا القول في إبطال جواز إرادة غير معنى الإبصار من وجوه النظر المذكورة.

فقالوا في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لا يجوز نظر الاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار، وإنما هي دار اضطرار.

ولا يجوز نظر التعطف والرحمة، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم.

ولا يجوز نظر الانتظار، لأنه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار، لأن الانتظار معه تنغيصٌ وتكديرٌ، والآية خرجت مخرج البشارة، وأهل الجنة فيما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم، والنعيم المقيم، فَهُم مُمَكَّنون مما أرادوا، قادرون عليه، وإذ خطر ببالهم شيء أُتوا به مع خطوره ببالهم وإذا كان ذلك كذلك لم يَجُزْ أن يقال: أن الله تعالى أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ

(١٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الفقيه الشافعي، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة (٢٤٥ هـ).

﴿رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر الانتظار، لأن ذلك منافٍ لما ذكرناه مما هو وارد في الأحاديث الصحيحة، وثابت فيها صريح.

قال إمام الحرمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الانتظار في نفسه عند كثير من المحققين من الآلام، وهو عند آخرين تمنٍّ، وكلاهما بعيد عن أهل الجنان، فإن من لا يتخلف عنه ما يريده في وقته بوجه من الوجوه فهو على استيقان في استمرار ما يريده في مظانه وأوقاته فلا يكون مَنْ هذا وَصْفُهُ منتظرًا.

فإن قلت: الانتظار واقع في يوم القيامة قبل دخول الجنة، فإذا دخلوا الجنة صار الأمر على ما وصفتُ على ما نطقتْ به الأحاديث فلا منافاة. والدليل عليه قوله تعالى بعده: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ فظاهر ما في هاتين الآيتين: أنه في الموقف: هؤلاء يتوقعون النار وأليم العذاب وهم الذين وجوههم باسرة أي متكرهة، مقطبة، والفاقرة: الداهية من العذاب، وأولئك مُتَشَوِّفون إلى نعيم ربهم في جناته، والحصول على مرضاته، وهم الذين وجوههم ناضرة، فقد صح حمل النظر في الآية على معنى الانتظار.

قلت: يمنع من ذلك أن الموصوفين بالنظر إلى ربهم، وُصِفَتْ وجوهُهُم بأنها ناضرة، والنضرة إنما تحصل لهم بعد حلولهم في نعيم الجنة بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ وأما في الموقف فلم يرد دليل

سمعي يدل على حصول النضرة فيه، فنبقى على هذا الظاهر، والله أعلم.

ووجهٌ ثانٍ في امتناع حَمْلِ النظر في الآية على معنى الانتظار، وهو أن النظر بمعنى الانتظار لا يُعدَّى فعله بحرف «إلى»، بل يُعدَّى بنفسه؛ تقول: نظرتُ الرجل، أي انتظرتُه، ولا تقل بهذا المعنى: نظرتُ إليه، وعلى ذلك جاء: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ ولم يقل: إلا إلى صيحة.

وقال الشاعر:

فـإن يَـكُ صَـدْرُ هـذا اليـوم وَلَّـى فـإن غـدًا لَنَـاظِرهُ قريـبُ

أي: لَمنتظره.

وفي القرآن الكريم من ذلك عدة مواضع نحو:

﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ أي ارْقُبْنا وانتظر ما يكون منا، ولم يقل: انظر إلينا.

وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي هل ينتظرون إلا نزول العذاب بهم، كما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

وقال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وكل هذا فِعْلُ النظر فيه مُعدًّى بنفسه لا بحرف الجر.

وأما النظر المُعدَّى بـ«إلى» فلا يكون إلا بمعنى الرؤية. وهو المُدَّعَى، أو بمعنى الاعتبار أو التعطف وقد أبطلناهما هنا، فتعين معنى الرؤية.

قال ابن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٤):

النظر على ثلاثة أنواع: نظر مقرون بـ«إلى»، ونظر مقرون بـ«في»، ونظر خالٍ منهما، فأما النظر المقرون بـ«إلى» فهو رؤية العين، وأما المقرون بـ«في»، فهو رؤية القلب، وأما الخالي منهما فهو بمعنى الانتظار.

فإن قلت: ما المانع أن يقال لَمَّا قَدَّم المفعول على عامله هنا ضَعُفَ العاملُ ولاسيما وهو اسم فاعل، واسم الفاعل أضعف عملًا من الفعل فقوي بحرف الجر كما يقال في (ضربت زيدًا) إذا تقدم المفعول: لَزيدٌ ضربتُ، فكذا قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أُريدَ: ناظرته أي: منتظرته، فلما قُدِّم المفعولُ اتصل به حرف الجر.

قلت: لو كان هذا من الباب الذي ذكرتَ لكان المتصل بالمفعول من حروف الجر «اللام» دون «إلى» كالمثال الذي ضربتهُ في قولك: «لَزيدٌ ضربتُ»، فاللام هي المعهودة في مثل ذلك ألا ترى أنه لا يقال: إلى زيدٍ ضربتُ، وسبب إتيان كل ذلك باللام دون غيرها من حروف الجر: أن اللام هي الموضوعة تقديرًا بين المضافين في نحو: غلام زيد. إذ تقديره: غلام لزيد، فكذا هنا يصح

(١٤) محمد بن حبيب بن أمية، أبو عفر البغدادي، كان علامة بالنسب والأخبار واللغة. توفي سنة (٢٤٥ هـ).

المعنى على تقدير: ضرب له، ونظر له أي: انتظار له، وحرف إلى خارج عن هذا المعنى، وقوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ يحتمل أن يكون قوله: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾ أن يكون فاعله من النظر، أو من الانتظار، والباء في قوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ﴾ متصلة بما التي للاستفهام، ولكونها للاستفهام حُذِفت ألفها نحو: ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ و ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ و ﴿فِيمَ أَنتَ﴾ و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ والباء متعقلة بيرجع، لأن الباء لو لم تدخل على «ما» لكانت «ما» في موضع نصب بـ ﴿يَرْجِعُ﴾ كقوله تعالى: قبل ذلك ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ وقوله: ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

نَصُّوا على أن «ما» في الموضعين منصوبة بـ﴿يَرْجِعُونَ﴾، و﴿تَأْمُرِينَ﴾ فكذا يكون ﴿بِمَ يَرْجِعُ﴾ «بم» في موضع نصب بـ ﴿يَرْجِعُ﴾.

وكذا قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ : ﴿مِمَّ﴾ متعلق بـ ﴿خُلِقَ﴾ لا بقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ﴾.

وقال أبو الحسن الحوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعرابه: الباء في قوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ﴾ متعلقة بـ ﴿نَاظِرَةٌ﴾، والتقدير: بأي شيء يرجع المرسلون.

ووافق على أن «ما» في قوله ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ منصوبة بـ﴿يَرْجِعُونَ﴾، و ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ منصوبة بـ ﴿تَأْمُرِينَ﴾، و ﴿مِمَّ﴾ في ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ متعلق بـ ﴿خُلِقَ﴾، فكذا «بم» يرجع يكون «بم» متعلقًا بـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ[١٥]:

﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب بـ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لا بـ«ننظر»؛ لأن معنى الاستفهام فيه يجب أن يتقدم عليه عامله.

فإن صح ما قال الحوفي فيكون عَدَّى ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بالباء على معنى الإلصاق أي: التصق انتظاري بهذا الأمر.

فإن قلت: دليل تعدية نظر الانتظار بـ «إلى» قول جميل بن معمر[١٦]:

إني إليكِ لِمَا وعدْتِ لناظر   نَظَرَ الذليلِ إلى العزيزِ القاهِرِ

قلت: المراد نظر العين المقرون بالذل والانكسار؛ لأنه نظر إليها ببصره متنجِّزًا موعدًا مقتضيًا له نظر الذليل إلى العزيز، ونظر الذليل إلى العزيز ليس من باب الانتظار فدل على ما ذكرناه.

فإن قلت: فما معنى قول حسان[١٧]:

وُجوهٌ يومَ بدرٍ ناظراتٌ   إلى الرَّحمنِ يأتي بالفَلاحِ

وهو حجة للخصم من أحد وجهين:

---

(١٥) محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم الزمخشري، كان معتزليًا مجاهرًا، وكتابه الكشاف في تفسير القرآن مليء بالتحريف والاعتزاليات،لا ينبغي أن يقرأ فيه إلا من كان صاحب بصيرة نافذة .

(١٦) جميل بن عبد الله بن معمر، المشهور بـ «جميل بثينة» وهي صاحبته التي كان يعشقها – نعوذ بالله من فتن الشهوات والشبهات.

(١٧) حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد الصحابي، عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة. توفي في خلافة معاوية سنة ٥٤.

لأن النظر فيه إن كان بمعنى الانتظار فقد عدَّاه بـ «إلى»، وأنتم قد منعتم تعديته بـ «إلى»، وإن كان من نظر العين فقد أضافه إلى الرحمن، وحقيقة النظر إلى الرحمن يوم بدر غير مرادة قطعًا.

لم يبق لتصحيحه وجه إلا أنه على حَذْفِ مضاف أي: إلى نصر الرحمن الموعود به، فكذا يقال في الآية الأخرى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي إلى ثوابه ونحو ذلك.

قلتُ: المراد بالنظر في بيت حسان إن صح: نظر الإبصار، وهو على حذف مضاف أي ناظرات إلى سماء الرحمن، أي أنهم يترقبون النصر ناظرين إلى الجهة التي تأتي النصرة منها، لأنهم وُعِدوا بإنزال الملائكة فانتظروا ذلك، وترقبوه، ونظروا إلى سماء الرحمن التي هي جهة الرحمة(١٨)، وقبلة الدعاء، ومنها هبوط المدد من الملائكة فقامت الأدلة على هذا، والكلام في البيت خرج على ما هو المعروف في لغة العرب من حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه إذا دل عليه دليل وامتنع حَمْلُ الكلام على ظاهره.

فإن قلت: فلم لا يكون كذلك قوله سبحانه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

---

(١٨) لعل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على طريقة بعض الأشاعرة الذين يتسألون آيات وأحاديث العلو على أنها علو القهر والغلبة، وليس العلوّ الحقيقي، ولذلك قال هنا «جهة الرحمة» وكان الأولى أن يقول «جهة الرحمن نفسه».

ومعلوم أن لفظ «الجهة» في إثباته نزاع، فمن أثبته وقصد به العلوم والفوقية فلا حرج، ومن نفاه وقصد بذلك نفي العلو والفوقية ففي ذلك الحرج كل الحرج.

على حَذْفِ مضاف أيضًا أي: إلى ثواب ربها ناظرة، وإلى جنان ربها وأفعاله وعظيم ما أعد لأوليائه !

قلتُ: زيادة الإضمار من غير حاجة لا يجوز، والقرآن على ظاهره إلى أن يقوم دليل على خلافه كقوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُونِ﴾ ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ليس شيء من ذلك على حَذْفِ مضاف، بل على ظاهره فكذا: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فهو كقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ ونحو ذلك.

قال عمرو بن أبي سلمة التنيسي: سمعت رجلًا سأل مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: يا أبا عبد الله، إن قومًا يقولون في هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي إلى ثواب الله. فقال مالك: كذبوا وأين هم عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

فإن قلت: منع الدليل من حَمْلِ نحو ﴿ٱعْبُدُونِ﴾، ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ على حَذْفِ مضاف.

قلتُ: وكذا منع الدليل في ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وهو أن الأصل في الإطلاق هو الحقيقة فلا يصار إلى المجاز وهو الإضمار هنا إلا بدليل راجح، وهو معدوم هنا بل الدليل المساوي معدوم أيضًا فضلًا عن الراجح، بل الدليل الراجح وارد على وفق الحقيقة كما سيأتي من سياق الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ الدالة على ذلك بنصوصيتها.

فإن قلت: يصح أن يُعَبَّرَ بمثل هذه العبارة ويَرِدَ مثل هذا اللفظ

لما لا يصح رؤيته كقول الشاعر:

ويومٌ بذي قارٍ كأن وجوهَهُم إلى الموت من وَقْعِ السيوفِ نواظِرُ

والموتُ لا يُرى ولا يُنظر إليه، فكذا قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فهو مجاز في الموضعين عن شدة الكشف والعلم والتيقن.

وأُشير في الآية إلى الحصول على الكرامات والنعيم الذي وُعِدَا به من جهة الله تعالى.

قلتُ: إن لم يُرَ الموت فأسبابه مرئية، وهو الذي أراده الشاعر تسميةً للسبب باسم المُسَبِّب، والعرب تفعل ذلك كثيرًا، وفي عكسه تُسمي المسبِّب باسم السبب نحو: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾.

وأراد الشاعر بالنظر إلى الموت: النظر إلى الضرب والطعن وفَلْقِ الهام وكرِّ الأبطال وإقدامها وكل ذلك من أسباب الموت.

قال جرير[١٩]:

أنا الموتُ الذي خُبِّرتَ عنه فليس لهاربٍ مني نجاةٌ

والمعنى: أنك تجد مني ما يصلح أن يكون سببًا لموتك، أو أنا شبه الموت الذي لا ينجو منه هارب، فلصحة هذا المعنى جاز إطلاق اسم الموت عليه.

ومثله في كتاب الحماسة:

يا أيها الرجلُ المُزَجِّي مطيتَه بلِّغْ بني أسد ما هذه الصوتُ

---

(١٩) جرير بن عطيه، الخطفي، من فحول شعراء الإسلام، وكان صاحب دين وعبادة بخلاف الفرزدق، فإنه كان ماجنًا متهتكًا.

وقلْ لهم بادِروا بالعُذْرِ والتمسوا   قولًا يبرئكم إني أنا الموتُ

فإن قلتَ: فما معنى قول الشاعر:

وجوهٌ بها ليل الحجاز على النوى   إلى مُلْكِ ركن المغارب ناظرة

قلت: هذا بيت أنشده القاضي أبو بكر بن محمد ابن الطيب[٢٠] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «التمهيد»، ثم قال: هذا شِعْرٌ لا يعرفه أحد من أهل العلم فلا حجة فيه.

وأقول أنا: إنه محمول على التجوز،فإن النظر على تقدير صحته نُزِّل تشوفهم إليه، وترقبهم له، وتمنيهم لملكه، ومحبتهم إياه منزلة شخص هو بحضرتهم ينظرون إليه.

ومنه قول عمر بن الخطاب لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما : من ترى قومك يؤمّرون؟ قال: قد نظر الناس إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وشَهَروه لها.

فإن قلت: ما المانع أن تكون «إلى» في قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ليس حرف الجر ولكنه واحد الآلاء وهي النعم، ويكون مضافًا إلى الرب، وهو منصوب المحل على أنه مفعول به كأنه قال: نعمة ربها ناظرة أي: منتظرة.

قلتُ: هذا على بعده وقلة استعماله قد أجاب عنه أبو نصر بن القشيري رحمهما الله في تفسيره فقال: هذا باطل؛ لأن واحد الآلاء

(٢٠) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مذهب أبي الحسن الأشعري. توفي سنة ٤٠٣ هـ.

يكتب بالألف لا بالياء يعني وهذه الكلمة مكتوبة في المصحف بالياء. دل على أنها حرف الجر لا واحد الآلاء.

قلت: وفي هذا الجواب مَنْعٌ إذ قال الجوهري[٢١] في صحاحه: الآلاء: النِّعم، واحِدُها «الَى» بالفتح، وقد يكسر ويكتب بالياء مثاله: مِعيً وأمعاء.

ثم قال ابن القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم الآلاء نعمة الدفع، وهم في الجنة لا ينتظرون دفع محنة عنهم، والمنتظر للشيء مُنَغَّصُ العيش ولا يرضى أهل الجنة بذلك.

قلت: هذا جواب جيد إن ثبت أن الآلاء مختصة بنعم الدفع دون غيرها.

وأنا أقول في جواب السؤال: أن لغة الفتح في هذا أكثر كما قال الجوهري فهي أفصح، والكلمة في الآية مكسورة بلا خلاف فلو كان المراد بها واحدة الآلاء لقرئت بالفتح، أو بالفتح والكسر، فحيث أُجْمِع على كسرها دل على أنها ليست تلك؛ إذ ليس في القرآن كله كلمة مجمع عليها وهي على غير الفصيح من اللغة بل إما أن تكون على الأفصح، أو الفصيح أو فيها الوجهان.

وحيث جاء بعض القراءات على غير الفصيح لا يكون في كلمة مجمع عليها كذلك بل يكون خلافها أيضا مقروءًا، والأكثر أن

---

(٢١) أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، إمام في علم اللغة، وكان من أذكياء العالم. توفي سنة ٣٩٣.

عليه الأكثر من القراء، ومن استقرء هذا العلم عرف ما ذكرناه، فهذا جواب ذلك، والله أعلم.

وقد قال تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني[٢٢] في تفسيره:

وقول من جعل «إلى» واحد الآلاء: إلغازٌ، وكلام الله منزه عن ذلك.

الوجه الثالث في تقرير أن المراد بالنظر في الآية الرؤية بالعين أن نقول: قُرِن النظر بالوجوه، والمراد بالوجوه ظاهرها، وحقيقتها وهي الجارحة المعروفة لأنها هي التي توصف بالنضارة كما قال الفضيل بن عياض وسفيان بن عُيينة رحمهما الله: ما أحد من أهل العلم أو الحديث يعني علماءه العاملين إلا وفي وجهه نضرة؛ لقوله ﷺ: «نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها» الحديث[٢٣].

فهذه قرينة ترجح أن المراد بالوجوه الجوارح المعروفة؛ لأن النضرة من أوصافها، والوجه لا يَرَى وإنما يَرَى ما خُلِق فيه من العينين وهو كقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وأراد: تقلب عينيه نحو السماء.

---

(٢٢) محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، توفي رحمه الله سنة ٥٠٥ .

(٢٣) حديث صحيح: رواه أبو داود (٣٦٦٠) والترمذي (٢٦٥٨) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وقال نفطويه[٢٤] فيما حكاه عنه الحافظ أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ : النظر إذا ذُكِر مع ذِكْرِ الوجوه فمعناه: نظر العينين اللتين في الوجه.

قلتُ: فقد اجتمع في الآية قرينتان دالتان على أن المراد بالنظر في الآية الرؤية:

إحداهما: تَعْدِيَتُهُ بحرف «إلى» كما سبق.

والثانية: اقترانه بِذِكْرِ الوجوه.

وإحدى القرينتين كافية، فكيف إذا اجتمعتا، وذلك أنه يصح أن نقول: نظرتُ إليه، ونظرتُه بوجهي وعيني أي: أبصرتُه. فإذا قلتَ: نظرتُ إليه بوجهي، فقد اجتمعت القرينتان.

وإنما جاز إضافة النظر إلى الوجه؛ لأن العين في الوجه، كما يضاف النظر إلى جملة الإنسان فيقال: نظر زيد إلى عمرو، والمعنى: أنه أدركه بحاسة النظر وهي العين، فهو من التجوز الذي ظهر وغلب الحقيقة.

وقيل: الوجه يكون بمعنى العين. قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ أي على عينيه، وهذا ضعيف، بل المراد: الوجه حقيقة، ويلزم ظاهرًا من إلقائه على الوجه أن يصيب عينيه، وبعد أن يُلقى على العينين ولا يصيب الوجه فلهذا قال ابن القشيري: ولا يبعد قَلْبُ العادة - يعني يوم القيامة - حتى

---

(٢٤) إبراهيم بن محمد بن عرفة، العتكي الأزدي، من علماء النحو والأدب، لُقِب بـ نفطويه لدمامة وجهه وأدمته.

يخلق النظر والرؤية في كل الوجه. وهو كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ فقيل: يا رسول الله، كيف يمشون في النار على وجوههم؟ فقال: «الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»[٢٥].

قال: وقيل أضاف النظر إلى الوجه، لأن العين في الوجه. وهو كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ والماء يجري في النهر لا النهر يجري.

فإن قلت: لعل الوجوه في الآية بمعنى الرؤساء. من قولهم: هؤلاء وجوه القبائل والعشائر أي: الملأ الأشراف.

قلت: هذا باطل من وجوه:

الأول: أنه تَجوُّز، فإن لفظ الوجه حقيقة في الجارحة المخصوصة فإذا اسْتُعْمِل بمعنى الشريف فهو تَجَوُّزٌ تشبيهًا له بالوجه بالإضافة إلى الجسد، فإنه أشرف الأعضاء الظاهرة، فَيُسْتعار اسمه، ويُطلق على المتميِّز من قومه، وليس لهم صرف الوجوه عن حقيقتها إلا بدلالة.

الثاني: أنه تعالى وصف الوجوه بالنضرة وهي الإشراق، والإضاءة وتهلل الأسارير، وإنما يوصف بذلك الجوارح المخصوصة دون الشرفاء المتميِّزين المختَصِّين بشرف الحسب، والنسب، ولهذا عقَّبه بِذِكْرِ وجوه الكفار، ووصفها بالكَلَحِ. ولا خفاء بأن الصفتين: النضرة ونقيضها من صفات الجوارح.

---

(٢٥) «صحيح البخاري» (٤٧٦٠).

الثالث: أن النضرة يومئذ لا تَخُصُّ الرؤساء دون غيرهم، بل هي لكل مَنِ هو مِن أهل الجنة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ فأضاف ذلك إلى جميعهم، فبطل أن يراد بالنضرة رؤساء الآخرة أي الأشراف من الأبرار.

ولا جائز أن يكون المراد بهم الرؤساء من أهل الدنيا؛ فإنهم هم المُتَّضَعُونَ[٢٦] يوم القيامة، وأكثر الأبرار إنما هم من الضعفاء والفقراء، ومن يُزدرى في الدنيا من الخلق، ولأنه لو أراد ذلك لأشبه أن يقول سبحانه: «ناظرون إلى ربهم» ولم يقل «ناظرة إلى ربها». فإن الأول ضمير العقلاء دون الثاني، وإن كان قد تُجُوِّزَ بكل واحد في موضع الآخرة لكنه قليل بشروط غير موجودة هنا.

فإن قلت: أهل الجنة كلُّهم وجوهٌ، فلهذا قال ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، ولم يُرِد الأشراف منهم.

قلتُ: فما تصنع بقوله بعده ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ليس لك أن تحمله إلا على الوجوه في الدنيا، والبسور لاحِقٌ يومئذ الرؤساء من الكفرة والمرءوسين، وإنما وِزَانُ هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ فالذين ابيضَّتْ وجوهُهُم هم الذين وجوههم ناضرة، وهم أهل الجنة، والذين اسودَّتْ وجوهُهُم هم

---

(٢٦) أي : الخاضعون الذليلون .

الذين وجوههم باسرة أي مُقْطِبَةٌ كريهة، وهم أهل النار على الإطلاق.

وقال أبو القاسم الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:[٢٧]

الوجه عبارة عن الجملة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر تجتمع فيه الخلائق، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه محال،[٢٨] فوجب حَمْلُه على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي. يريد معنى التوقع والرجاء.

ومنه قول القائل:

وإذا نظرتُ إليك مِن مَلِكٍ ... والبحرُ دونك زدتني نعما

---

(٢٧) وهو مليء بالاعتزال، وقد يخفى هذا على كثير من الناس، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه أخرج الاعتزال منه بالمنقاش، وذلك لخفائه، ودهاء الزمخشري وتَمَكُّنِهِ من مذهبه المبتَدَع الضال.

(٢٨) هذا على مذهب المعتزلة.

قال: وسمعت سروية[٢٩] مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقايلهم تقول: عُيَيْنتي نُوَيظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه[٣٠].

قلت: هذا الذي ذكره من أن الوجه عبارة عن الجملة: دعوى لم يذكر لها دليلًا، وقد ذكر غيره لها دليلين:

أحدهما: أنه سبحانه وصفها بكونها ناظرة، والنظر على أي وجه حُمِل فإنه يرجع إلى الجملة دون الجوارح المختصة.

قلت: وهذا ممنوع، بل كما يضاف إلى الجملة يضاف إلى العضو الخاص المُدْرِك لذلك نحو: نظرتُ إليه، ونظرت عيني إليه، وضربتُه وضربتْهُ يدي.

وقد تقدم أن الوجه أُضيف النظر إليه لأن العين فيه، أو لأنه قد يُعَبَّر به عن العين، ولهذا قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: يعني به الوجه والكفين أي بعض الوجه وهو العينان، لأنهما هما اللتان تبدوان من المرأة بعد البرقع ونحوهما، وما يقرب منهما ولم يُرِدْ إبراز الوجه كله؛ فإن معظم الفتنة من الوجه.

الثاني من الدليلين على أن المراد بالوجه الجملة: [٣١] قوله

---

(٢٩) يعني: جارية.

(٣٠) هذا آخر كلام الزمخشري، وفيه نظر، كما سيبينه المصنف.

(٣١) وهذا الذي ذكره غير الزمخشري، وسيجيب عنه المصنف بما يبطله .

تعالى ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ والظن لا يُضاف إلى الوجه الذي يُواجَهُ به، وإنما يُضاف إلى الجملة وإلى القلب لأنه معدِنُه.

وأجاب إمام الحرمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا بوجهين:

أحدهما: لا يبعد تقدير ظن قائم بالوجه يخرق الله تعالى العادة فيه، ويبدعه ويخترعه على خلاف المعتاد منه في الدنيا كما يستنطق الجوارح والجلود.

الثاني: أن تقول قد ثبت أن المراد بالوجه الجارحة، بدليل صفتي: النضرة والبسرة فغاية قوله (تظن) أن تكون إضافة الظن إلى الوجوه مجازًا، وإذا ثبت وجه من التجوز بدلالة تقوم عليه فلا يجب حَمْلُ جملة الألفاظ في الآية على التجوز والتوسع، والأصل أن تُقَرَّ الألفاظ على حقائقها إلى أن تقع أدلة مقتضية صَرْفِها عن وجهها.

قال: ثم نقول لو سَلِم لكم جدلًا أن المراد بالوجوه الجُمَلُ والأشخاص والأنفس فليس في ثبوت ذلك ما ينفي الاحتجاج؛ فإن النظر المعدَّى بـ «إلى» إذا ثبت أنه الرؤية فليس في إضافة الرؤية إلى الجُمَل ما يقدح في استدلالنا ويصدنا عن مرامنا فإنه عَزَّ مِن قائل لو قال: «أناس يومئذ ناظرون إلى الله تعالى»، «وأشخاص ناظرة إلى الله تعالى» لكان الاحتجاج بذلك مستقيمًا.

قلت: وقيل التقدير: يظن أصحاب الوجوه، فلما حَذَفَ المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه أَسْنَدَ الفعل إليه.

وقيل: التاء في ﴿تَظُنُّ﴾ للخطاب لا للتأنيث أي: تظن يا

محمد، أو: يأيها المخاطب.

وأما ما ذكره الزمخشري بعد قوله: «الوجه عبارة عن الجملة» فمعنىً حسنٌ لولا أن أحاديث صحيحة مصرحة برؤية الله تعالى يوم القيامة، فوجب حَمْلُ الآية على ظاهرها الموافق لما ثبت في السنة من قول النبي ﷺ على ما سنسرده من الآثار في ذلك حتى قال: «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»(٣٢).

وفي تقديم المفعول من معنى الاختصاص ما نذكره وهو أنهم إذا نظروا إلى ربهم ﷻ لم ينظروا إلى سواه، بل خصوه بنظرهم؛ لأنه أشرف الأشياء التي أكرمهم بها ﷻ كما جاء في الحديث: «فوالذي نفسي بيده ما أنعم الله عليهم بنعمة أحب إليهم من النظر إلى وجهه»(٣٣).

وهذا المعنى من الاختصاص هو المسوِّغ لتقديم المفعول هنا، وحيثما قدم منصوبًا كان أو مجرورًا نحو: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد.

ولولا ذلك المعنى من الاختصاص لقال: ناظرة إلى ربها ناضرة، بتقديم النظر بالظاء على النضرة بالضاد، وكان المفعول من الجار والمجرور متأخرًا عن عامله على ما هو أصل الكلام،

(٣٢) متفق عليه، وسيأتي تخريجه .

(٣٣) صحيح مسلم (١٨١/٢٧١) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

والمعنى واحد في التقديم والتأخير لولا ما في التقديم من هذا الاختصاص المذكور.

وبقي من الاعتراض على الاستدلال بهذه الآية ما سيأتي في فصل بعد فصول استدلال المعتزلة إن شاء الله تعالى.



الدليل الثاني من القرآن

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

قال الحسن بن عرفة: حدثنا سَلْمُ بن سالم البلخي، عن نوح ابن أبي مريم، عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ العمل في الدنيا ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنة، قال: «والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم»[٣٤].

قال أبو بكر بن السمعاني رحمه الله:

رُوي من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم»[٣٥].

---

(٣٤) إسناده ضعيف؛ لضعف سلم بن سالم ونوح بن أبي مريم، والحديث أخرجه اللالكائي في «السنة» (٧٧٩) وخرجته هناك.

(٣٥) وقد ثبت هذا في صحيح مسلم (٢٩٧/١٨١) قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ – قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل» ثم قال مسلم (٢٩٨/١٨١): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ :

قد فسر رسول الله ﷺ المُبَيِّنُ عن الله ﷻ فمن بعده من الصحابة الذين أخذوا عنه، والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة أن «الزيادة» في هذه الآية: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وانتشر عنهم إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بالأبصار.

ثم قال: رُوينا عن أُبي بن كعب، وكعب بن عُجرة عن النبي ﷺ في قوله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «النظر إلى وجه الرحمن»(٣٦).

وعن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: زيدوا النظر إلى ربهم. وفي رواية: زيدوا النظر إلى وجه الرب ﷻ(٣٧).

قال: رُوينا هذا التفسير عن حُذيفة بن اليمان(٣٨) وأبي موسى الأشعري(٣٩) رضي الله عنهما.

---

(٣٦) رواه اللالكائي في «السنة» (٧٨٠، ٧٨١) بإسناده عنهما، وهو ضعيف، وراجع تخريجه هناك.

(٣٧) إسناده ضعيف، رواه اللالكائي في «السنة» (٧٨٣، ٧٨٤) وراجع تخريجه هناك.

(٣٨) صحيح: رواه اللالكائي في «السنة» (٧٨٤) وراجع تخريجه هناك.

(٣٩) ضعيف رواه اللالكائي في «السنة» (٧٨٥، ٧٨٦) وراجع تخريجه هناك.

وقال هَوذة بن خليفة: حدثنا عوف، عن الحسن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: الجنة. ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى الرب ﷻ[٤٠].

ورُوينا عن سعيد بن المسيب[٤١]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٤٢]، وعبد الرحمن بن سابط[٤٣] وقتادة[٤٤] وغيرهم من التابعين معنى قول الحسن البصري في تفسير الزيادة في هذه الآية: بالنظر إلى وجه ربهم ﷻ.

قلت: وفي «تفسير الثعلبي»[٤٥] عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم»[٤٦]، قال: وهو قول أبي بكر الصديق، وحُذيفة، وأبي موسى، وصُهيب، وعُبادة بن الصامت، وكعب بن عُجرة، وعامر بن سعد، وعبد الرحمن بن سابط، والحسن، وعكرمة، وأبي الجوزاء، والضحاك، والسُّدِّي، وعطاء، ومقاتل.

---

(٤٠) صحيح: ذكره اللالكائي في «السنة» (٧٩١) وراجع تخريجه هناك.

(٤١) رواه اللالكائي في «السنة» (٧٨٩) وراجع تخريجه هناك

(٤٢) رواه اللالكائي في «السنة» (٧٩٢) وراجع تخريجه هناك

(٤٣) رواه اللالكائي في «السنة» (٧٩٥) وراجع تخريجه هناك

(٤٤) رواه اللالكائي في «السنة» (٧٩٨) وراجع تخريجه هناك

(٤٥) وتفسيره مليء بالغرائب والمناكير، وكذلك كتابه «عرائس المجالس» فليُحذَر من ذلك.

(٤٦) تقدم أنه ضعيف.

وفي «كتاب المعاني» لأبي إسحاق الزجاج[٤٧] قال:

ويجوز أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات، لأنه قال ﷻ:  ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال: والقول الأول في النظر إلى وجه الله كثير في التفسير، وهو مرويٌّ بالأسانيد الصحاح لا شك في ذلك.

❁ ❁ ❁

---

(٤٧) إبراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة ٣١١ هـ، وكتابه هو «معاني القرآن وإعرابه» وهو كتاب جليل، ولكن عليه بعض المؤاخذات كما بيَّن محققه الدكتور عبد الجليل عبده شلبي في مقدمته.

الدليل الثالث من القرآن

قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾

قال أبو بكر بن السمعاني: استدل مالك بن أنس وابن عيينة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وجماعة من أئمتنا بهذه الآية على أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة.

قلت: ووجه الاستدلال أن يقال: تخصيص الكفار بهذا الحَجْبِ دليل على أن المؤمنين لا يكونون محجوبين. ولو كان الحَجْبُ عامًّا مشتركًا بين الفجار والأبرار لما نادى على الفجار بذلك وساق ما حرموه من الخير، وما يلقونه من الشر، ولكان كقولك: الكافر لا يبعث قبل يوم القيامة، وهذا غير مستحسن من القول، وإن كان صحيحًا؛ إذ لا فائدة من تخصيص الكافر به، فكذا القول في حَجْبهم عن ربهم.

قال مالك بن أنس الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ : لو لم ير المؤمنون ربهم لم يُعير الله الكفار بالحجاب، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٤٨).

وعنه أيضًا قال: لما حَجَبَ أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : لما حجبهم في السخط كان هذا

(٤٨) رواه اللالكائي في «السنة» (٨٠٨) وراجع تخريجه هناك.

دليلًا على أنهم يرونه في الرضا، وفي رواية: لما حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضا.

قال الربيع: قلت للشافعي: وتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في الآخرة ما عبده في الدنيا(٤٩).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: لو علم الزاهدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا(٥٠).

وقال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذه الآية دليل على أن الله تعالى يُرى في القيامة، ولولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم محجوبون عن الله. وقال الله في المؤمنين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فاعلم أن المؤمنين ينظرون إليه، واعلم أن الكفار محجوبون عنه، ثم بعد حَجْبهم عن الله يدخلون النار ولا يخرجون منها.

وقال أبو نصر بن القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى الآية بعد العرض والحساب لا ينظرون إلى الله وينظر إليه المؤمنون، قال: وقيل إنهم محجوبون عن رحمة الله فلا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

قلت: هذا تأويل أهل الاعتزال، ومن لا يرى صحة رؤية الله سبحانه فيرى أن في الآية مجازًا من جهة حذف المضاف، وإقامة

---

(٤٩) رواه اللالكائي في «السنة» (٨٨٣) وراجع تخريجه هناك.

(٥٠) رواه اللالكائي في «السنة» (٨٦٩) وراجع تخريجه هناك.

المضاف إليه مقامه، لاستحالة إرادة الحقيقة على زعمه.

قال الشريف الرضى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب مجاز القرآن» :

هذه استعارة ومجاز، لأن الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور، والبطون، والاستتار، والبروز، وذلك من صفات الأجسام المحدثة، والأشخاص المؤلفة.

قال: والمراد بذكر الحجاب ههنا أنهم ممنوعون من ثواب الله تعالى مذودون عن دخول جنته ودار مُقامته، وأصل الحجاب المنع ومنه قولنا في الفرائض: الإخوة يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، أي يمنعونها من الثلث ويردونها إلى السدس، ومنه أيضًا قولهم: حُجِب فلان عن باب الأمير، أي رُدَّ عنه، ودُفِع دونه، قال: ويجوز أن يكون لذلك معنى آخر وهو أنهم غير مقربين عند الله تعالى بصالح الأعمال، واستحقاق الثواب، فعبر الله تعالى عن هذا المعنى بالحجاب، لأن المبعد المقصي يُحجب عن الأبواب، ويُبعد عن الجناب(٥١).

وقال أبو القاسم الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم، وإهانتهم، لأنه لا يُؤْذَنُ على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يُحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم(٥٢).

---

(٥١) وكلام الشريف الرضى هذا كله كلام المعتزلة ككلام أبي نصر بن القشيري.

(٥٢) وكلام الزمخشري ككلام من سبقه كله اعتزال وشر وبلاء وإنكار للرؤية

قلت: وسيأتي إن شاء الله تعالى دليل جواز رؤية الله عقلًا وأن لا استحالة فيها، وإذا كان كذلك بالوجه حُمِل الكلام على الحقيقة، أو ما هو أقرب إلى الحقيقة، والعدول عن إضمار ما الكلام مستغنٍ عنه من حذف مضاف ونحوه، فبان رجحان تفسير ذلك بالحَجْبِ عن رؤية الله تعالى التي قام الدليل على جوازها عقلًا، ووقوعِها سمعًا في الآخرة للمؤمنين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

على حقيقتها وظاهرها، وما أرى مَنْ جحد الرؤية في الآخرة إلا محرومًا منها، وكيف لا، وهو لا يؤمن بها ولا يطلبها ؟!

الدليل الرابع

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾

وكذلك سائر ما ورد من آيات اللقاء، قد حمل جماعة من العلماء معنى اللقاء فيها على رؤية الله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾.

قال أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

واللقاء إذا أُطلق على الحي السليم لم يكن إلا رؤية بالعين، وأهل هذه التحية لا آفة بهم، ثم أسند الحافظ البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزًا للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟

قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر..»، وذكر باقي الحديث[٥٣].

قال: واللقاء المذكور في هذا الحديث هو لقاء الله عز وجل، فقد أَفْرَد البعث بالذِّكْرِ.

وقال في حديث دعاء التهجد: «ووعدك حق ولقاؤك حق»[٥٤].

وفي رواية أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وستلقون ربكم

---

(٥٣) حديث صحيح: رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٤٧٧٧).

(٥٤) حديث صحيح: رواه البخاري (١١٢٠) ومسلم (٧٦٩).

فيسألكم عن أعمالكم»[٥٥].

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ في قصة الأنصار أن النبي ﷺ قال لهم: «اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله»[٥٦].

وقد استدل البخاري بهذه الأحاديث الثلاثة وغيرها كقوله: «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان»[٥٧] ثم قرأ ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ**﴾.

وفي كتاب البيهقي[٥٨]: قال وهب بن زمعة: أخبرني الباساني قال: سألت عبد الله بن المبارك عن قول الله ﷻ: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا**﴾ الآية فقال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملًا صالحًا ولا يخبر به أحدًا[٥٩].

وفي «صحيح البخاري»[٦٠] عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه»، وفي رواية «صاحب ولا ترجمان».

---

(٥٥) حديث صحيح: رواه البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩).

(٥٦) حديث صحيح: رواه البخاري (٧٠٠٣) ومسلم (١٠٥٩).

(٥٧) حديث صحيح: رواه البخاري (٢٣٥٦).

(٥٨) «الاعتقاد» (ص: ١٣٥).

(٥٩) رواه اللالكائي (٨٩٥).

(٦٠) رواه البخاري (٧٤٤٣، ٧٥١٢).

قال البيهقي: يريد تَوَلِّيْهِ المحاسبة بنفسه.

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لا يبقى أحد من خلقه إلا رآه يوم القيامة، ثم يُحْجَبُ عنه الكافرون، ويراه المؤمنون فذلك قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٦١].

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن زعم أن جميع الخلائق يرون الله تعالى يوم القيامة ليعرفوه ضرورة، ولتكون رؤيتهم إياه بشارة للمؤمنين، وحسرة على الكافرين، كما يُرِيهم مقاعِدَهم من الجنة والنار؛ ليعرف المؤمنون ما دَفَعَ الله عنهم فيزدادوا سرورًا ويعلم الكافرون ما فاتهم فيزدادوا حسرة وندامة؛ احتج بهذا الخبر ـ يعني حديث أبي سعيد رضي الله عنه وهو في الصحيح، وسيأتي عند ذِكْرِ أحاديث الرؤية وفيه: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ألا لتلحق كل أمة ما كانت تعبد...»[٦٢] الحديث.

---

(٦١) ذكره ابن كثير في «التفسير» (٨/٣٥١).

(٦٢) رواه البخاري (٤٥٨١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ» . قَالُوا لاَ . قَالَ «وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ» . قَالُوا لاَ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ . فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ . فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ

قال: وزعم يعني هذا القائل الذي قال إن جميع الخلائق يرون الله تعالى يوم القيامة أن قوله ﷻ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ إنما أراد به عن رؤيته التي هي رؤية كرامة.

قلت: تكون الرؤية الأولى عند فصل القضاء رؤية هيبة وجلال وعظمة، والرؤية المختصة بالمؤمنين في الجنة رؤية لطف وبر، وكرامة. جعلنا الله الكريم بفضله من أهلها آمين.

❁ ❁ ❁

فَقَالُوا عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا . فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِى النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ . فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ . فَيُقَالُ لَهُمْ مَاذَا تَبْغُونَ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِى أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِى رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ . قَالُوا فَارَقْنَا النَّاسَ فِى الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِى كُنَّا نَعْبُدُ . فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا».

فصل

في سياق الأخبار النبوية الصحيحة الدالة على وقوع رؤية المؤمنين لله تبارك وتعالى في الدار الآخرة المصرحة بذلك، وقد رواها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم

منهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

ففي «الصحيحين» عن عبد الله بن قيس - هو أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[٦٣].

قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، عن أبي عمران.

وقال مسلم: حدثنا نصر بن علي الجهضمي وأبو غَسَّان المسمعي وإسحاق بن إبراهيم جميعًا، عن عبد العزيز بن عبد الصمد واللفظ لأبي غسان قال: حدثنا أبو عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ... فذكره.

وفي كتاب أبي عوانة الإسفراييني المُخَرَّج على صحيح مسلم[٦٤] هذا الحديث قال: قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم: «جنات

(٦٣) البخاري (٧٤٤٤) ومسلم (١٨٠/٢٩٦).

(٦٤) «المستخرج على صحيح مسلم» (٣١٠).

الفردوس أربع ثنتان آنيتهما وحُلِيّهما، وما فيهما من ذهب، وثنتان من فضة آنيتهما وحُلِيّهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»، وفي رواية: رداء الكبرياء.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ(٦٥):

قوله (رداء الكبرياء) هو ما يتصف به من إرادة احتجاب الأعين عن رؤيته(٦٦)، فإذا أراد إكرام أوليائه بها رفع ذلك الحجاب عن أعينهم بخلق الرؤية فيها ليروه بلا كيف كما عرفوه بلا كيف.

وقوله: «في جنات عدن» يعني: والناظر في جنات عدن.

وروى عن أبي موسى أيضًا حديث الرؤية بلفظ آخر أن النبي ﷺ بينما هو يعلمهم شيئًا من أمر دينهم إذ شخصت أبصارهم عنه فقال: «ما أشخَصَ أبصارَكم عني؟!» قالوا: نظرنا إلى القمر، فقال: «كيف بكم إذا رأيتم الله جهرة»(٦٧).

---

(٦٥) في كتاب «الاعتقاد» (ص: ١٤١).

(٦٦) هذ الكلام من التأويل غير المرضي، فلا يسوغ وصف «رداء الكبرياء» بأنه إرادة الاحتجاب!! وهذا خلاف الظاهر، والواجب الوقوف عند اللفظ والإيمان به وعدم الخوض في كيفيته، والله أعلم.

والحديث يفيد وَصْفَ الله ﷻ بصفة الكبرياء، قال ابن قتيبة: كبرياء الله: شرفه، وهو من«تكبر» إذا أعلى نفسه .ا.هـ . فالواجب الإيمان بهذه الصفة على ما يليق بالله تعالى دون تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل.

(٦٧) لا يصح مرفوعًا إلى النبي ﷺ وإنما هو موقوف على أبي موسى كما بينته في تعليقي على «السنة» للإمام اللالكائي (٨٦٢).

❁ ومنهم صهيب بن سنان رضي الله عنه:

في «صحيح مسلم»[٦٨]: حدثنا عبد الله بن عمر بن ميسرة، حدثني عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البُناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار، قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم».

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد ابن سلمة بهذا الإسناد، وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٦٩].

قال أبو عيسى الترمذي[٧٠]: وحدثنا محمد بن بَشَّار بُنْدار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صُهيب، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ: إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنجِزَكموه، قالوا: ألم يُبيِّض وجوهنا، ويُنَجِّنا من النار، ويُدخلنا الجنة؟ قالوا: بلى، فيكشف الحجاب» قال: «فو الله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم

---

(٦٨) صحيح مسلم (١٨١/٢٩٧).

(٦٩) صحيح مسلم (١٨١/٢٩٨).

(٧٠) سنن الترمذي (٢٥٥٢).

من النظر إليه».

قال الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله، ولم يذكر فيه عن صُهيب عن النبي ﷺ [٧١].

وأسنده أبو عوانة في كتابه [٧٢] عن جماعة قالوا: حدثنا حماد ابن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النارِ النارَ، نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنْجِزَكموه، قالوا: وما هذا الوعد؟ أليس قد ثَقَّل موازيننا، ألم يُبيض وجوهنا، وأدخلنا الجنة، ونجانا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله ﷻ، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إليه» وفي رواية: «إلى وجهه».

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صُهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ نودوا أن يا أهل

---

(٧١) يشير الترمذي رَحِمَهُ اللهُ بذلك إلى الخلاف الواقع في هذه الرواية، وأن هناك من روى الحديث من قول عبد الرحمن بن أبي ليلى وليس مرفوعًا إلى النبي ﷺ . وقد ذكرت ذلك تفصيلًا في تعليقي على كتاب «السنة» (٢/١٢١-١٢٢) للإمام اللالكائي وبينت أن الروايتين صحيحتان.

(٧٢) المسند المستخرج على صحيح مسلم (١/٢٤٥-٢٤٦).

الجنة إن لكم عند الله موعدًا لم تروه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُبيِّضْ وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب تبارك وتعالى، فينظرون إليه» قال: «فو الله ما أعطاهم الله شيئًا هو أحب إليهم منه»، ثم قرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٧٣).

قال البيهقي(٧٤):

رواه هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة بإسناده ومعناه إلا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أعطاهم شيئًا هو أحب إليهم ولا أقَرَّ لأعينهم من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى»(٧٥).

وفي رواية أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة قال: «فيتجلى لهم فينظرون إليه فيكون ذلك أعظم عندهم مما أُعْطُوه»(٧٦).

قال البيهقي(٧٧):

والحجاب المذكور في هذا الخبر وغيره يرجع إلى الخلق،

---

(٧٣) حديث صحيح رواه البيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٢٨) واللالكائي في «السنة» (٨٣٣) وراجع تخريجه هناك.

(٧٤) في «الاعتقاد» (ص: ١٢٩) .

(٧٥) اللالكائي في «السنة» (٨٧٨) وراجع تخريجه هناك

(٧٦) حلية الأولياء (١/١٥٥).

(٧٧) في «الأسماء والصفات» (١/٤٦٥ رقم: ٣٩٢).

لأنهم هم المحجوبون عنه بحجاب خلقه فيهم[(٧٨)].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن ربك ليتبدّى إليك، وأنت في الجنة تسرح حيث تشاء في قصورك، وخدمك، وأزواجك، فلا يعدل رؤيته عندك شيء مما أنت فيه.

وعن هشام بن حسان عن الحسن[(٧٩)] قال: إن الله عز وجل ليتجلى لأهل الجنة فإذا رأوه نسوا نعيم الجنة.

*ومنهم جرير بن عبد الله رضي الله عنه:

قال البخاري في «الصحيح»[(٨٠)]:

حدثنا عمرو بن عون، حدثنا خالد وهشيم، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا».

---

(٧٨) هذا تأويل غير سائغ، بل الواضح الظاهر أن الحجاب هو لله تعالى وقد أضافه النبي صلى الله عليه وسلم له فقال: «حجابه» وقد نقل الحافظ في «الفتح» والمباركفوري في «التحفة» كلام البيهقي دون عزو له، مع أن المباركفوري صرح قبل قليل بأن هذا الحجاب هو حجاب النور الذي احتجب الله به، فقال: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحِجَابِ حِجَابُ النُّورِ الَّذِي وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عِنْدَ مُسْلِمٍ وَلَفْظُهُ : حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

(٧٩) رواية هشام بن حسان عن الحسن البصري منقطعة.

(٨٠) صحيح البخاري (٧٤٣٤).

حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعي، حدثنا أبو شهاب يعني الحنَّاط عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم جل ثناؤه عيانًا»[٨١].

حدثنا عبدة بن عبد الله، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، حدثنا بيان بن بشر، عن قيس بن أبي حازم قال: حدثنا جرير بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته»[٨٢].

وقال الترمذي[٨٣]:

حدثنا هناد، حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس، وقبل الغروب﴾.

وقال أبو داود[٨٤]:

---

(٨١) صحيح البخاري (٧٤٣٥).

(٨٢) صحيح البخاري (٧٤٣٦).

(٨٣) سنن الترمذي (٢٦٧٥).

(٨٤) سنن أبي داود (٤٧٢٩).

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير ووكيع وأبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله قال: كنا مع رسول الله ﷺ جلوسًا فنظر إلى القمر ليلة البدر أربع عشرة، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾.

قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

قال أبو بكر بن السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما حديث جرير هذا فهو حديثٌ عالٍ كبيرٌ متفقٌ على صحته، وتابع بيانَ بن بشرٍ إسماعيلُ بن أبي خالد في روايته هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم، ورواه عن إسماعيل بن أبي خالد من لا يُحصى من الأئمة كثرةً.

وقال يزيد بن هارون: من كذّب بهذا الحديث فهو بريء من الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ بريء منه، وهم والله الذي لا إله إلا هو زنادقة.

وقال بشر بن الوليد: كنت جالسًا عند أبي يوسف القاضي(٨٥)، فدخل عليه بشر المِرِّيسي(٨٦) فقال له أبو يوسف: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير عن النبي ﷺ فذكر

(٨٥) صاحب الإمام الكبير أبي حنيفة.

(٨٦) بشر بن غياث بن أبي كريمة، المبتدع الضال المضل، كان رأسًا في الإرجاء والقول بخلق القرآن، وهو الذي رد عليه الإمام السلفي الكبير عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد».

بن أبي خالد عن قيس عن جرير عن النبي ﷺ فذكر حديث الرؤية، ثم قال أبو يوسف: إني والله مؤمن بهذا الحديث وأصحابك ينكرونه، وكأني بك قد شَغَلْتَ على الناس خشبة باب الجسر فاحذر[٨٧].

قال الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله[٨٨]:

سمعت الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رحمه الله يقول فيما أملاه علينا في قوله: «لا تُضَامُّون في رؤيته»: بضم التاء وتشديد الميم يريد: لا تُجمعون لرؤيته في جهة، ولا يُضم بعضكم إلى بعض لذلك، فإنه عز وجل لا يُرى في جهة[٨٩] كما يرى المخلوق في جهة.

قال: ومعناه بفتح التاء: لا تَضامُّون برؤيته مثل معناه بضمها أي: لا تضامون في رؤيته بالاجتماع في جهة، وهو دون تشديد الميم من الضم معناه: لا تُظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض، وإنكم ترونه في جهاتكم كلها، وهو متعالٍ عن جهة[٩٠].

---

(٨٧) أي فاحذر من عاقبة مذهبك، فإنه سيؤول بك إلى أن تصلب.

(٨٨) في «الاعتقاد» (ص: ١٣٦-١٣٧).

(٨٩) انظر التعليق الآتي.

(٩٠) جرت قاعدة السلف على عدم الخوض في باب الأسماء والصفات فيما لم يرد به دليل نفي ولا إثبات، وعليه فنفي الجهة عن الله عز وجل من هذا الباب، فلا ينبغي إثبات الجهة ولا نفيها؛ لأن ذلك لم يرد به كتاب ولا سنة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: ليس في كلامي إثبات هذا اللفظ؛ لأن إطلاق هذا اللفظ نفيًا أوإثباتًا بدعة وأنا لم أقل إلا ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه الأئم. ا.هـ. ولكن

يقال: من قصد بنفي الجهة أن يكون الله ﷻ متحيزًا، فقصده صحيح، ومن قصد بنفي الجهة نفي العلو والفوقية فقصده فاسد.

وسئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، فقيل له: قلنا في الدليل العقلي على علو الله تعالى: إن العلو صفة كمال، والمبتدعة يقولون: لو قلت العلو فإنه صفة نقص؛ لأنكم وصفتموه في جهة واحدة، فما الرد عليهم؟

الجواب: لا، إنما نقول هو بجهة ومحيط بكل الجهات، فما السموات السبع والأرضون السبع في كفه جل وعلا إلا كخردلة في كف أحدنا، والعلو المطلق فضاء ما في شيء يساويه، ولا يحازيه، والفضاء عَدَمٌ، ما فيه شيء موجود إلا الله ﷻ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في «شرح العقيدة الواسطية»: والذين أنكروا علو الله ﷻ بذاته يقولون: لو كان في العلو بذاته كان في جهة، وإذا كان في جهة كان محدودًا وجسمًا، وهذا ممتنع!

والجواب عن قولهم: «إنه يلزم أن يكون محدودًا وجسمًا» نقول:

أولًا: لا يجوز إبطال دلالة النصوص بمثل هذه التعليلات، ولو جاز هذا؛ لأمكن كل شخص لا يريد ما يقتضيه النص أن يعلله بمثل هذه العلل العليلة.

فإذا كان الله أثبت لنفسه العلو، ورسوله ﷺ أثبت له العلو، والسلف الصالح أثبتوا له العلو؛ فلا يقبل أن يأتي شخص ويقول: لا يمكن أن يكون علو ذات؛ لأنه لو كان علو ذات؛ لكان كذا وكذا.

ثانيًا: نقول: إن كان ما ذكرتم لازمًا لإثبات العلو لزومًا صحيحًا؛ فلنقل به؛ لأن لازم كلام الله ورسوله حق؛ إذ أن الله تعالى يعلم ما يلزم من كلامه. فلو كانت نصوص العلو تستلزم معنى فاسدًا لبينه، ولكنها لا تستلزم معنى فاسدًا.

ثالثًا: ثم نقول: ما هو الحد والجسم الذي أجلبتم علينا بخيلكم ورجلكم فيها؟

أتريدون بالحد أن شيئًا من المخلوقات يحيط بالله؟! فهذا باطل ومنتفٍ عن الله، وليس بلازم من إثبات العلو لله.

أو تريدون بالحد أن الله بائن من خلقه غير حالٍّ فيهم؟ فهذا حق من حيث المعنى، ولكن لا نطلق لفظه نفيًا ولا إثباتًا؛ لعدم ورود ذلك.

قال: والتشبيه برؤية القمر ليقين الرؤية دون تشبيه المرئي تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

* ومنهم أبو هريرة، وأبو رَزِين العُقيلي رضي الله عنهما:

قال البخاري رحمه الله [(٩١)]:

حـ ثنا عبـ العزيز بن عبـ الله، حـ ثنا إبراهيم بن سعـ ، عن ابن شهاب.

وقال مسلم: حـ ثني زهير بن حرب حـ ثنا يعقوب بن إبراهيم، حـ ثنا أبي، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيـ الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تُضارُّون في القمر ليلة البـ ر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترونه كذلك..» وذكر تمام الحـ يث بطوله، واللفظ لمسلم.

وأما الجسم؛ فنقول: ماذا تريـ ون بالجسم؟ أتريـ ون أنه جسم مركب من عظم ولحم وجلـ ونحو ذلك؟ فهذا باطل ومنتف عن الله؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

أم تريـ ون بالجسم ما هو قائم بنفسه متصف بما يليق به؟ فهذا حق من حيث المعنى، لكن لا نطلق لفظه نفيًا ولا إثباتًا؛ لما سبق.

وكذلك نقول في الجهة؛ هل تريـ ون أن الله تعالى له جهة تحيط به؟ فهذا باطل، وليس بلازم من إثبات علوه. أم تريـ ون جهة علو لا تحيط بالله؟ فهذا حق لا يصح نفيه عن الله تعالى.

(٩١) صحيح البخاري (٧٤٣٧).

قال: وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي[٩٢].

أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ وساق الحديث بمعنى حديث إبراهيم بن سعد[٩٣].

قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٩٤]:

حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه: أنه سمعه يحدث عن أبي هريرة قال: قال ناس: يا رسول الله، أنرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية أحدهما».

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد.. ح.

وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة المعنى عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عُدس قال موسى: «ابن حُدُس» عن أبي رَزِين العقيلي قال: قلت يا رسول الله، كلنا يرى ربه ـ قال ابن معاذ: مخليًا به ـ يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا

---

(٩٢) صحيح مسلم (١٨٢/٢٩٩).

(٩٣) صحيح البخاري (٦٥٧٣).

(٩٤) سنن أبي داود (٤٧٣٠).

رَزِين أليس كلكم يرى القمر؟» _ قال ابن معاذ: ليلة البدر مخليًا به _ ثم اتفقا _ قال: بلى قال: «فالله أعظم»، قال ابن معاذ: قال: «وإنما هو خَلْقٌ من خَلْقِ الله، فالله أجل وأعظم»[٩٥].

قال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ :

الذي جاء في الحديث مخفف لا تَضَامون، ولا تَضارون، ومعناه لا ينالكم ضير، ولا ضيم في رؤيته، أي ترونه حتى تستووا في الرؤية فلا يضيم بعضكم بعضًا، ولا يضير بعضكم بعضًا.

قال: وقال أهل اللغة قولين آخرين قالوا: لا تُضارُّون بتشديد الراء، ولا تُضامُّون بتشديد الميم مع ضم التاء في تضامون، وتضارون، وقال بعضهم: بفتح التاء مع التشديد فيهما على معنى تتضارون، وتتضامون، وتفسير هذا: أنه لا يضار بعضكم بعضًا، أي لا يخالف بعضكم بعضًا في ذلك تقول: ضاررت الرجل أُضارة مضارة، وضرارًا إذا خالفته، ومعنى لا تضامون: لا ينضم بعضكم إلى بعض فيقول واحد للآخر «أرنيه» كما يفعلون عند النظر إلى الهلال.

وقال أبو عبيد الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب الغريبين»:

وروي «تضارُون» بالتخفيف من الضير والأصل فيه لا تضيِّرون، والمعنى واحد، أي: لا يخالف بعضكم بعضًا فيكذبه، ولا تُنازعون. يقال: ضاررته مضارة إذا خالفته ، ويقال: ضاره يَضيره،

---

(٩٥) ضعيف: سنن أبي داود (٤٧٣١) وقد تكلمت على إسناده في تعليقي على «السنة» (٨٣٧، ٨٣٨) للإمام اللالكائي.

وأهل العالية يقولون: يضوره، وقيل: لا تضارون أي لا تضايقون، والمضارة: المضايقة والضرر: الضيق، واضرَّ بي: لزق بي.

قال: ورُوي لا تضامون في رؤيته أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض في وقت النظر؛ لإشكاله، وخفائه كما تفعلون في الهلال.

قال: ورُوي «لا تضامون» بالتخفيف أي: لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعض دون بعض، بل تستوون في الرؤية.

قال: وقال ابن الأنباري: أي لا يقع لكم في الرؤية ضيم وهو الذل والصغار، وهو من الفعل تفعلون، وأصله تضيمون فألقيت فتحة الياء على الضاد فصارت الياء ألفًا لانفتاح ما قبلها.

قال: وأما قوله «لا تضارون» فيجوز أن يكون على معنى: لا تضاررون بعضكم أي لا تخالفونهم ولا تجادلونهم بصحة النظر، فتسكن الراء الأولى، وتدغم في التي بعدها، ويحذف المفعول، لبيان معناه، ويجوز على معنى، لا تضاررون أي: لا تنازعون.

وقال ابن عرفة: أراد: لا تُجادلون فتكونوا أحزابًا يضرب بعضكم بعضًا في الجدل، كما يصير القوم أضدادًا، ومن ذلك سميت الضرَّة، لمضادتها للأخرى قال ومعنى قوله: لا تُضامُّون أي: لا يضمكم شيء دون رؤيته.

قال الهروي: وهذه الأقاويل متقاربة.

وقال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: لا تَضامّون هو من الانضمام، يريد أنكم لا تختلفون في رؤيته حتى تجتمعوا للنظر، وينضم بعضكم إلى بعض فيقول واحد:

«هو ذاك» ويقول آخر: «ليس بذاك» على ما جرت به عادة الناس عند النظر إلى الهلال أول ليلة من الشهر، ووزنه: تفاعلون، وأصله: تتضامون بضم التاء. وتخفيف الميم معناه: أنكم لا يلحقكم ضيم، ولا مشقة في رؤيته.

وقال في رواية «لا تضارون»: وهذا والأول سواء في إدغام أحد الحرفين في الآخر وفتح التاء من أوله، ووزنه تفاعلون من الضرار، والضرار أن يتضارَّ الرجلان عند الاختلاف في الشيء فيضار هذا ذاك، وذاك هذا، فيقال قد وقع الضرار بينهما أي الاختلاف.

قال: وقد يخيل إلى بعض السامعين أن الكاف في قوله: «كما ترون» كاف التشبيه للمرئي وإنما هو كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي معناه: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، وتنتفي معها الريبة كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون به ولا تمترون فيه.

۞ ومنهم أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:

في الصحيحين[٩٦] عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب، وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب» قالوا: لا يا رسول الله قال: «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة

---

(٩٦) صحيح البخاري (٤٥٨١) وصحيح مسلم (١٨٢/٢٩٩).

إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد..» وذكر الحديث بطوله. واللفظ لمسلم.

وأخرج البيهقي في كتاب الاعتقاد(٩٧) هذا الحديث والذي قبله من حديث الليثي(٩٨) عن أبي هريرة بلفظ: «هل تضارون في رؤية الشمس، هل تمارون في رؤية القمر في موضع، هل تضارون».

وقال: قوله (تمارون) أصله تتمارون، فأسقطت إحداهما، وهو من المرية وهي الشك في الشيء. والاختلاف فيه. يقول: ترون ربكم يوم القيامة بلا شك، ولا مرية.

وكذلك فسره الإمام أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ومنهم أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم:

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ(٩٩):

وقال حجاج بن منهال: حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال فيه: «فيأتوني فأستأذن على ربي في داره(١٠٠)، فيؤذن لي، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجدًا» قال ذلك ثلاث مرات.

---

(٩٧) (ص: ١٣٩).

(٩٨) عطاء بن يزيد الليثي.

(٩٩) صحيح البخاري (٦٥٦٥).

(١٠٠)صحيح البخاري (٦٨٨٦).

وقال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١٠١]:

حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا شبابة، عن إسرائيل، عن ثُوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه، ونعيمه، وخدمه، وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيًّا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ، وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعًا؛ رواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفًا.

وروى عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثُوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله، ولم يرفعه، قال: ولم نعلم أحدًا ذكر فيه «عن مجاهد» غير الثوري.

وأخرج البيهقي في «كتاب البعث والنشور»[١٠٢] عن ابن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف..» فذكر الحديث، قال: «فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله ﷻ فيمتعون بنور الرحمن، حتى لا يبصر

---

(١٠١) حديث ضعيف جدًّا: سنن الترمذي (٢٦٧٧) وراجع تخريجه والكلام عليه في «السنة» للإمام اللالكائي (٨٤٠، ٨٤١).

(١٠٢) حديث موضوع: رواه البيهقي في «البعث والنشور» (ص ٢٦٢ - ٢٦٣).

بعضهم بعضًا»[١٠٣].

ثم قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد مضى في هذا الكتاب وفي كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر، والله أعلم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب الاعتقاد»[١٠٤]:

ولهذه الأخبار الصحيحة شواهد من حديث علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبادة بن الصامت، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، وأبي رَزِين العقيلي، وأنس بن مالك، وبُريدة بن حُصيب، وغيرهم رضي الله عنهم عن النبي ﷺ.

قال[١٠٥]: وروينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه، وأبي موسى رضي الله عنه، وغيرهم، ولم يُرْوَ عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيها مختلفين لنُقل اختلافهم إلينا. كما أنهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نُقل اختلافهم في ذلك إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نُقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نُقلت رؤية الله بالأبصار في

---

(١٠٣) حديث موضوع: رواه اللالكائي في «السنة» (٧٣٦) وراجع تخريجه هناك.

(١٠٤) (ص: ١٤١-١٤٣).

(١٠٥) (ص: ١٤٢-١٤٤).

الآخرة عنهم ولم يُنقل عنهم في ذلك اختلاف كما نُقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين مجمعين، وبالله التوفيق.

وقال أبو بكر بن السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثاني مجالس أماليه:

اعلم أن حديث الرؤية رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة منهم: أبو بكر، وعلي، وعمار، وزيد بن ثابت، وحذيفة، وأُبي بن كعب، وجرير، وابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وصُهيب، وابن عباس، وابن عمر، وأبو موسى، وأبو رَزِين العقيلي، وأنس، وكعب بن عُجرة، وجابر، وفَضالة بن عبيد، وأبو بَرْزة الأسلمي وغيرهم رضي الله عنهم.

أنبأنا من أنبئ عن الحافظ البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أخبرنا أبو عبدالرحمن السلمي، أخبرنا عن ابن عمر الحافظ ـ هو الدارقطني(١٠٦) ـ قال: ذكر إسحاق الطحان المصري قال: حدثنا سعيد بن أسد قال: قلت للشافعي: ما تقول في حديث الرؤية؟ فقال لي: يا ابن أسد، اقْضِ عليَّ حييتُ أو متُّ أن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني(١٠٧).

وأخرج البيهقي في «كتاب الدعوات»(١٠٨) وغيره من حديث عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار بن ياسر: دعوات سمعهن من

---

(١٠٦) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني.

(١٠٧) كتاب الاعتقاد (ص ١٤٤) للبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١٠٨) رقم (٢٢٠).

النبي ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»[١٠٩].

والنبي ﷺ لا يسأل شيئًا مستحيلًا على الله تعالى، ولم يسأل الرؤية في الدنيا، فإنه قد علم أن موسى سألها فمُنع منها، فلم يبق إلا أن يكون سألها في الآخرة لوقوعها فيها، فهو كقوله ﷺ: «أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل»[١١٠].

---

(١٠٩) حديث صحيح: أخرجه النسائي (٣/٥٤) واللالكائي في «السنة» (٨٤٥) ولفظه: «عن عمارْ بن ياسر، أنه صلى بأصحابه يوما صلاة أوجز فيها، فقيل له : يا أبا اليقظان، خففت، فقال : ما علي في ذلك، لقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، قال : فقام رجل فتبعه، وهو أبو عطاء، فسأله عن الدعاء، فجاء فأخبر : اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيمًا لا يبيد، وأسألك قرة عين لا تنفد ولا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين».

(١١٠) حديث صحيح رواه ابن ماجه (٣٨٤٦) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا». والحديث ذكره

وقال إمام الحرمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

رَوَى حديث الرؤية عن النبي ﷺ قريبٌ من ثلاثين رجلًا من كبار الصحابة، والطرق إليهم صحيحة، قال: وأقوى متمسك لأصحابنا في جواز رؤية الله تعالى اختلاف الصحابة في أن النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج، واختلافهم في الوقوع: دليل على اتفاقهم على الجواز، فإن ما يستحيل كونه لا يتصور الاختلاف في وقوعه.

وقال محمد بن سليمان لُوَين: قيل لسفيان بن عيينة: هذه الأحاديث التي تُروى في الرؤية. فقال: حقٌّ على ما سمعناها ممن نثق به.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك، فقالوا: أَمْضِها بلا كيف.

ثم قال أبو بكر بن السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

في الحديث دلالة واضحة على أن جميع المؤمنين يرون ربهم عَزَّ وَجَلَّ بأبصارهم في الجنة، لأن دفع المضامة ورفع الضيم؛ إنما يكون باستواء الجميع في الرؤية، وفيه دلالة على أن الرؤية بالعين خلاف قول المعتزلة: أن معناه المعرفة بالقلب، لأن خوف المضامة إنما يكون عند الرؤية بالعين دون المعرفة بالقلب، والزيادة الواردة في رواية أبي شهاب الحناط قاطعة لكل تأويل يعني قوله «عيانًا» وهي

الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٢).

في «صحيح البخاري»[١١١].

قال: وأما قوله ﷺ: «كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر» فيحتمل معنيين:

أحدهما: أنه لا يقع لهم شك، ولا تخالجهم ريبة في رؤيته، كما لا يقع لهم في الدنيا في رؤية القمر ليلة البدر ريبة، ودل على هذا المعنى قوله: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟».

والمعنى الثاني: أنه أراد به استواءهم في النظر إليه، ونيل جميعهم كرامة الرؤية من غير تعب ونصب، كما يستوي جميع الناس في النظر إلى القمر ليلة البدر، وينال رؤيته كل أحد من غير مشقة.

قال: ورد المعتزلة هذا الحديث، وقالوا: إنه تشبيه الله بالقمر، وذلك لا يجوز على الله تعالى، وسموا أهل السنة مشبهة بروايتهم وقبولهم له، ولما يشاكله من الأحاديث.

وذلك خذلان من الله تعالى أدركهم فسد عن سواء الحق مسلكهم، وكثيرًا ما يرمون أهل السنة بالأباطيل، وهي أليق بهم، وهم أولى منهم بكل فضيحة، وسمة قبيحة، وليس في الحديث تشبيه الخالق بالخلق، ولا المرئي بالمرئي وإنما فيه تشبيه النظر بالنظر والرؤية بالرؤية على ما بينا والله أعلم.

---

(١١١) «صحيح البخاري» (٧٤٣٥).

فصل

للخصوم على هذه الأخبار اعتراضات سنذكرها، ونجيب عنها إن شاء الله تعالى:

من ذلك أنهم حاولوا الطعن في إسناد حديث جرير بن عبدالله المقدم ذكره.

ذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في ترجمة علي بن عبد الله المديني من «تاريخ بغداد» عن الحسين بن الفهم قال: حدثني أبي قال: قال ابن أبي دؤاد للمعتصم: يا أمير المؤمنين، هذا يزعم ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ أن الله يُرى في الآخرة، والعيون لا تقع إلا على محدود، والله لا يُحد، فقال له المعتصم: ما عندك في هذا؟! فقال: يا أمير المؤمنين، عندي ما قاله رسول الله ﷺ . قال: وما قال عليه السلام؟ قال: حدثني محمد بن جعفر غندر، حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا مع النبي ﷺ في ليلة أربع عشرة من الشهر، فنظر إلى البدر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر لا تضامون في رؤيته»، فقال لأحمد بن أبي دؤاد: ما عندك في هذا؟ قال: أنظر في إسناد هذا الحديث، وكان هذا في أول يوم، ثم انصرف فَوَجَّه ابن أبي دؤاد إلى علي بن المديني وهو ببغداد مُمْلِقٌ لا يقدر على درهم، فأحضره فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه وصلك بها أمير المؤمنين، وأمر أن يدفع إليه جميع ما استحق من أرزاقه، وكان له رزق سنتين، ثم قال له: يا

أبا الحسن، حديث جرير بن عبد الله في الرؤية ما هو؟ قال: صحيح، قال: فهل عندك فيه شيء؟ قال: يعفيني القاضي من هذا. قال: يا أبا الحسن، هذه حاجة الدهر، ثم أمر له بثياب وطيب ومركب بسرجه وكمامه، ولم يزل حتى قال له: في هذا الإسناد من لا يعتمد عليه، ولا على ما يرويه وهو قيس بن أبي حازم إنما كان أعرابيًّا بوَّالًا على عقبيه، فقبَّل ابنُ أبي دؤاد ابنَ المديني، واعتنقه، فلما كان الغد وحضروا قال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين يحتج في الرؤية بحديث جرير، وإنما رواه قيس بن أبي حازم، وإنما هو أعرابيٌّ بوَّال على عقبيه!! فقال أحمد بن حنبل بعد ذلك: فحين أطلع لي هذا علمتُ أنه من عمل علي بن المديني فكان هذا، وأشباهه من أوكد الأمر في ضربه.

قال الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ :

هذا باطل، وقد نَزَّه الله علي بن المديني عن قول ذلك، لأن أهل الأثر وفيهم عليٌّ مجموعون على الاحتجاج برواية قيس بن أبي حازم، وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعي أهل الكوفة، وليس في التابعين من أدرك العشرة المقدمين، وروى عنهم غير قيس مع روايته عن خلق من الصحابة سوى العشرة، ولم يحك أحد ممن ساق محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه نوظر في حديث الرؤية، فإن كان هذا الخبر المحكي عن ابن فهم محفوظًا فأحسب أن ابن أبي دؤاد تكلم في قيس بن أبي حازم بما ذكر في الخبر، وعزا ذلك إلى علي بن المديني، والله أعلم.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: أجود التابعين إسنادًا قيس بن أبي حازم، روى عن تسعة من العشرة، لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف.

وقال الشريف الرضي[١١٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب المجاز»:

هذا الخبر مطعون في سنده، ولو صح نَقْلُه وسَلِم أصله لكان مجازًا كغيره من المجازات التي يحتاج فيها إلى أن تحمل على التأويلات الموافقة للعقل.

وبعد هذا فهذا الخبر من أخبار الآحاد فيما من شأنه أن يكون معلومًا فغير جائز قبوله[١١٣].

قلت: وجواب هذا بأن نقول: لم يثبت الطعن في سنده، لما ذكرناه، ولما سيأتي ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر حَمْلُ الكلام على حقيقته، ولم يتعذر ذلك فبقينا على الظاهر.

قوله: إنه من أخبار الآحاد.

قلنا: هو كذلك إلا أنه مستفيض لتعدد رواته عن النبي ﷺ من الصحابة فمن بعدهم رضي الله عنهم، وذلك كاف في إثبات النظر والرؤية

---

(١١٢) محمد بن الحسن بن موسى، ينتهي نسبه للحسين بن علي بن أبي طالب. توفي سنة ٤٠٦ هـ.

(١١٣) وهذا مما مشي عليه المعتزلة: أنهم يرون أخبار الآحاد - التي لم تبلغ مبلغ التواتر - في باب الأسماء والصفات، ويزعمون أنها لا تفيد اليقين، فلا يجوز قبولها في العقيدة! وقولهم باطل، ونحن مأمورون بالعمل بكل ما صح وثبت عن رسول الله ﷺ واعتقاد ما فيه والتدين به، والله أعلم.

التي وقع النزاع فيها، وليس ذلك ملتحقًا بمامن شأنه أن يكون معلومًا، بل تكفي غلبة الظن فيه بخبر الصادق، وهو كسائر ما وردت الأخبار به من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار فإنا نؤمن به كله، وإن كان منه المعلوم، ومنه المظنون.

ثم قال الرضي: ومما علقته عن قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد عند بلوغي في القراءة عليه إلى الكلام في الرؤية أن من شرط قبول خبر الواحد أن يكون راويه عدلًا وراوي هذا الخبر قيس بن أبي حازم، وكان منحرفًا عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ويقال إنه كان من الخوارج، وذلك يقدح في عدالته، ويوجب تهمته في روايته، وأيضًا فقد كان رُمي في عقله قبل موته، وكان مع ذلك يكثر الرواية، فلا يُعلم روى هذا الخبر في الحال التي كان فيها سالم التمييز، أو في الحال التي كان فيها فاسد العقل، وكل ذلك يمنع من قبول خبره، ويوجب اطِّرَاحَ روايته.

وجواب هذا أن نقول: المرجع في تعديل الرواة وتجريهم إلى العلماء الحفاظ من أهل هذا الشأن، وقد رأينا الأكابر منهم كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي أدخلوا حديثه وروايته في كتبهم، وأثنوا عليه في كلامهم، وبهذا تتبين أن الحكاية السابقة عن الحسين بن فهم عن أبيه لا أصل لها، وما نسبوه إلى علي بن المديني باطل، فإن تدوين هذه الكتب كان بعد ذلك، فدل على أنه لم يجر ما حكوه، أو إن جرى فكان بهتانًا وزورًا، ومنكرًا من القول، فلهذا لم تلتفت الأئمة عليه، وأخرجوا حديث قيس في كتبهم الصحيحة.

وقال سفيان بن عيينة: ما كان بالكوفة أروى عن أصحاب رسول الله ﷺ من قيس بن أبي حازم.

وقال يحيى بن معين: قيس بن أبي حازم أوثق من الزهري.

وقال ابن خراش: هو كوفي جليل.

وقال يعقوب بن شيبة: هو متقن الرواية.

وقال قوم: كان يحمل على عليٍّ، والمشهور عنه أنه يقدم عثمان.

قلت: فلهذا قال من قال إنه كان منحرفًا عن علي، وليست هذه العبارة بجيدة، وما ذهب إليه من تقديم عثمان على عليٍّ رضي الله عنهما هو المذهب الصحيح الذي استقرت عليه مذاهب أهل السنة.

وقال قوم: له أحاديث مناكير.

قلت: فإن صح هذا، فليس حديث الرؤية منها، لأنه مدون في الصحاح، ولأن المتابعين له على رواية أحاديث الرؤية فيهم كثرة؛ قال يعقوب: ومنهم من قال إنه مع شهرته لم يرو عنه كبير أحد قال: وليس الأمر كما قال هؤلاء، قد روى عنه جماعة منهم إسماعيل بن أبي خالد، وهو أرواهم عنه، وكان ثقة ثبتًا، وبيان بن بشر وكان ثقة ثبتًا، والحكم، وأبو إسحاق، والأعمش، وذكر غيرهم.

وأما قوله: من قال إنه من الخوارج، فليس بصحيح، ولو صح لكان ذلك غير مانع من قبول خبره فله حكم عكرمة مولى ابن عباس، وأشباهه من الأكابر الذين قُبِل حديثهم مع نسبتهم إلى أنهم على رأي الخوارج، وهذا عمرانُ بن حِطَّان من رءوس الخوارج

وحديثه مقبول مخرج في الصحيح للبخاري وغيره.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: ليس في أهل الأهواء أصح حديثًا من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حِطّان، وأبا حسان الأعرج.

وقال قتادة: كان عمران بن حِطَّان لا يُتهم في الحديث. وقال أحمد بن عبد الله العجلي: هو بصري تابعي ثقة.

وقول عبد الجبار فيما حكاه الرضى عنه «أن قيس بن أبي حازم رُمي في عقله قبل موته» ليس بصحيح فإني لم أر أحدًا من الحفاظ المرجوع إليهم في الجرح والتعديل نسب إليه ذلك.

وعبد الجبار لم يكن في عصر قيس، ولا ذكر لنا من روى له ذلك، فكان هذا الحكم غير مقبول منه، ثم لو كان هذا صحيحًا لم يكن نافعًا له، فإن الرواية قد رواها جماعة غيره فدل صحة ذلك على أنه ما رواها إلا في حال سلامته، لأنه روى شيئًا صحيحًا ثابتًا من رواية غيره، وفي حديث غيره غُنية عن حديثه، ولا مطعن لهم في حديثهم.

ثم قال الرضى: ومِن شَرْطِ قبول خبر الواحد أن يعرى من نكير السلف، وقد نُقل نكير جماعة من السلف على راوي هذا الخبر منهم العرباض بن سارية رُوي عنه أنه قال: من قال إن محمدًا رأى ربه فقد كذب.

قلت: ما كان أغنى الرضى عن هذا الكلام! فالعرباض إنما أنكر رؤية الله تعالى في الدنيا، وإنما كلامنا في رؤيته في الدار

الآخرة، وإن قاس فَرَّقنا بأن الله تعالى منع الأبصار من رؤيته في الدنيا، لأنها أبصار فانية، وأباح النظر في الآخرة لمن شاء من خلقه، لأنهم يرونه بأبصار باقية، وهذا فَرْقٌ واضحٌ حسنٌ مع أنه لا حاجة إليه، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ولو شاء أن يؤتي ذلك مَن يشاء مِن خلقه في الدنيا لفعل سبحانه، وهذا كما أنه أعد لأوليائه وأهل طاعته الجنة في الدار الآخرة، ولو شاء أنْ يعجلها لهم في الدنيا، ويجمعها لهم في الدنيا والآخرة لفعل، وكذا العذاب لأهل معصيته فهذا هو الحق.

واعتمادنا على ما وردت به الشريعة فنحن نؤمن بما أخبر به الصادق، ونجريه على ظاهره مما لم يمنع منه مانع، ولا نؤول إلا ما استحال إجراؤه على ظاهره، أو دلت القرينة على إرادة المجازية والله أعلم.

ثم قال الرضي: محال أنَّا نراه كما نرى القمر الذي في جهة مخصوصة، في صفة معلومة، وإذا كان الأمر على ما قلنا لم يكن للخبر ظاهر، واحتجنا إلى تأويله فنقول: في الكلام إسقاطُ مضاف: أي ترون أشراط يوم المعاد، وما وعد الله به وأوعد من الثوب والعقاب، كما ترون القمر ليلة البدر يزيد في البيان والظهور، والإضحاء للعيون.

قلت: بل للخبر ظاهر، وهو الرؤية لله تعالى كما سبق، وما ذكره من المانع فقد سبق الجواب عنه وهو أن التشبيه برؤية القمر ليقين الرؤية دون تشبيه المرئي، فلا حاجة إلى ما قدره من حَذْفِ

المضاف، كيف وأن ألفاظ الأخبار المذكورة على اختلاف ألفاظها يشهد بعضها لبعض أن المعنى ليس على ما ذكره، ومن تأمل وأنصف ظهر له ذلك وعرف.

ثم قال الرضى: لو كان هذا الخبر صحيحَ الأصل لكان عندنا محمولًا على العلم، لأن إطلاق لفظ الرؤية بمعنى العلم في الكلام مشهور.

قلت: الأخبار المتقدمة بعضها جاء بلفظ الرؤية، وبعضها بلفظ النظر، وذلك تفسير للرؤية أنها من رؤية العين دون العلم، والأخبار كما ذكرنا يفسر بعضها بعضًا، ولكن الرضى رحمنا الله وإياه لما لم يذكر إلا هذا الخبر الواحد الذي هو من رواية قيس عن جرير تحيَّل في دفعه وتأويله بكل ممكن نصرة لمذهبه، واعتقاده، ولو وقف على سائر الألفاظ في الأخبار التي ذكرناها لظهر له من مجموعها ما ظهر لنا إن شاء الله وله الحمد.

وهذا التأويل الذي ذكره الرضى مِن حَمْل الرؤية في الحديث على العلم قد اقترحه المعتزلة قديمًا وأجاب بعض أصحابنا عنه: بأن النبي ﷺ أخرج هذا الكلام مخرج البشارة لأصحابه، ولا يجوز أن يبشرهم بمعنى كان حاصلًا لهم في الدنيا، وهو العلم بالله سبحانه.

وأجاب الرضى عن هذا بأن قال: العلم بالله سبحانه في الدنيا علم استدلال تعترضه الشكوك وتَعْتَورُهُ الشُّبَهُ والظنون، ويحتاج العالم في حل عقود تلك الشبه إلى كُلَفٍ ومشَاقٍّ تتعب الخواطر وتعيي الناظر، فبشرهم عليه السلام بأن ذلك يزول في الآخرة، فيكون علمهم بالله سبحانه اضطرارًا غير مشوب بكُلفة، ولا معقود بمشقة، وهكذا كقول القائل منا إذا أراد أن يخبر عن شدة تحققه للشيء «نا أعلم هذا الأمر كما أرى هذه الشمس»

وقوله من بعد «لا تضامون في رؤيته»أي: لا شبهة فيه ولا شك يعتد به.

ثم قال: والصحيح أن يكون الضمير في رؤيته راجعًا إلى القمر، قال: ويجوز أن يكون راجعًا إلى الله تعالى أي: لا تُضارون في علمه.

قلتُ: الصحيح أن الضمير عائد إلى الله تعالى لا إلى القمر خلافًا لما اختاره الرضى، بدليل ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري السابق: «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»، ولأن المهم إعلام النبي ﷺ إيانا بنفي المضارة في رؤية الله ﷻ التي بشرنا بها ووعدناها لا في رؤية الشمس والقمر، فإن ذلك معلوم ولأن نفي المضارة في العلم لا

فائدة فيه، فإن من المعلوم أن العلوم لا تتزاحم، فعلم زيد لا يزحم علم عمرو، فلم يكن إلى ذكر ذلك حاجة، وإنما الحاجة ماسة إلى نفي المُضارة عن رؤية الأبصار؛ لأن الأشخاص هي التي تزدحم عند رؤية ما تشتهي رؤيته على ما هو المعروف في المحسوسات والله أعلم.



فصل

في ذكر ما احتج به النافون لرؤية الله تعالى من الأدلة السمعية والعقلية والجواب عنها

وقد تمسكوا في نصرة قولهم بوجوه من الأدلة:

الدليل الأول قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

قالوا: هذا نص صريح في نفي تعلق الإدراكات بالله تعالى.

قال الزمخشري: البصر هو الجوهر اللطيف الذي رَكَّبه الله تعالى في حاسة النظر. به تُدرَك المبصَرات.

فالمعنى: أن الأبصار لا تتعلق به، ولا تدركه، لأنه متعالٍ أن يكون مُبصرًا في ذاته؛ لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلًا، أو تابعًا كالأجسام، والهيئات ﴿وهو يدرك الأبصار﴾. أي: وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها المدرك.

قلتُ: وجواب هذا من وجوه:

الأول: أنه نفي لعموم الأبصار أن تدركه أي تراه، وهو كذلك، وبه نقول؛ فإنما يراه بعض الأبصار، وهي أبصار المؤمنين، ويحجب عنه أبصار الكافرين، وهذا كما إذا قيل (مكان السلطان لا يصل إليه

كل الناس) لم يكن هذا اللفظ بمانع من وصول بعضهم إليه.

الثاني: أنه محمول على نفي الإدراك في الدنيا دون الآخرة جمعًا بين الأدلة، ولهذا قال سبحانه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فخصص ذلك بيوم القيامة فيكون نفي الإدراك مخصوصًا بالدنيا.

وفي تفسير الثعلبي:قال ابن عباس، ومقاتل:معناه: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يُرى في الآخرة.

قلتُ: وسر ذلك ما ذكره شيخنا أبو الحسن(١١٤) في تفسيره قال: هذا الامتناع مخصوص بالدار الأولى لأن أهلها لا يستطيعون رؤيته ﷻ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ وأما في الآخرة فإنهم يكونون على غير ما هم عليه في الدنيا.

وقال إمام الحرمين رحمه الله : في كتاب الشامل(١١٥) في قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾:

هذه آية مطلقة مترددة بين آيتين مقيدتين في النفي

(١١٤) أي : أبو الحسن الأشعري، وتفسيره هو «تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان» وقد ألَّفه الأشعري في الرد على الجبائي والبلخي وغيرهما.

(١١٥) «الشامل في أصول الدين» طُبع في منشأة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٦٩ . وهو على طريقة المتكلمين، ومثله كتابه «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» طبع في بيروت، وقد ذكر فيه فصلًا في إثبات الرؤية (ص١٥٧-١٧١).

والإثبات، فالتي في الإثبات قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ والتي في النفي قوله تعالى في الكفرة ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ والمطلق محمول على المقيد في الحكم الواحد، فتعين حمل المطلق في النفي على المقيد.

الثالث: أن الإدراك يدلُّ على الرؤية، فإنه إبصار الشيء مع إبصار جوانبه وأطرافه، وهذا في حق الله تعالى محالٌ أي: لا تحيط بحقيقته، ونفي الإبصار الخاص لا يوجب نفي أصل الإبصار.

قال الحافظ البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١١٦)]: قال بعض أصحابنا: إنما نفى عنه الإدراك دون الرؤية، والإدراك هو الإحاطة بالمرئي دون الرؤية، فالله يُرى، ولا يُدرك، كما يُعلمُ ولا يُحاط به علمًا.

قال إمام الحرمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ذهب كثير من أئمتنا إلى أن الله تعالى يُرى ولا يُدرك؛ إذ الإدراك ينبئ عن اللحوق والإحاطة والتحديد، فإن سلكنا هذا المسلك كنا قائلين بموجب الآية مسقطين عن أنفسنا مؤنة الخصوم.

قال أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره[(١١٧)]:

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾: أجراه بعضهم على العموم[(١١٨)] فقال معناه: لا تحيط به الأبصار، بل تراه ولا تحيط به كما تعرفه في الدنيا ولا تحيط به. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ قال:

---

(١١٦) «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» (ص١٢٧).

(١١٧) «الكشف والبيان» (٥/٢٧٠-٢٧١).

(١١٨) وهذا أحد الوجوه التي ذكرها الثعلبي في تفسيره، وهناك أقوال أخرى .

فكما نعرفه في الدنيا لا كالمعروفين، كذلك نراه في العقبى لا كالمرئيين، قالوا: وقد ترى الشيءَ ولا تدركه كما أخبر الله تعالى عن قول أصحاب موسى له حين قُرب منهم قوم فرعون ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى، ولم يدركوهم؛ لأن الله تعالى قد كان وعد نبيه موسى عليه السلام أنهم لا يُدْركون بقوله: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ ولذلك قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ : لا تحيط به الأبصار، وقال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ : كَلَّتْ أبصار المخلوقين عن الإحاطة به.

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رَحِمَهُ اللَّهُ (١١٩):

الإدراك بمعنى اللحوق من قولهم: أدرك قتادة الحسن، وأدرك الطعام أي لحق حال الرجال، وأدرك البصر رؤيته قال: وقد قال قائلون من أصحابنا: الإدراك رؤية معها إحاطة بالمُدْرَك، والباري سبحانه يُرى ولا يُدرك، لأنه لا يُحاط به.

وقال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٠) في هذه الآية:

أعلم سبحانه أنه يُدرك الأبصار، وفي هذا الإعلام دليل أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي: لا يعرفون كيف حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر بعينيه دون أن يبصر من غيرهما

---

(١١٩) محمد بن الحسن بن فورك، كان أشعريًا متكلمًا، له كتاب «غريب الحديث» حشاه بالتأويل على طريقة الأشاعرة، وكان يقول بأن النبي ﷺ كان رسولًا في حياته فقط، وأن روحه هلكت بوفاته، فقتله محمود الغزنوي لذلك.

(١٢٠) «معاني القرآن وإعرابه» (٢/٢٧٨-٢٧٩).

من سائر أعضائه؟! فأعلم الله أن خلقًا مِن خَلْقِهِ لا يُدْرِكُ المخلوقون كُنْهه، ولا يحيطون بعلمه، فكيف به ﷻ؟! فالأبصار لا تحيط به، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، قال: فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية وصح عن النبي ﷺ فغير مدفوع وليس في هذه الآية دليل على دَفْعه، لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء بالإحاطة بحقيقته، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث.

وقال أبو نصر بن القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ بين أنه مُنَزَّه عن سِمات الحدوث ومنها الإدراك بمعنى: الإحاطة والتحديد، فالإدراك منتفٍ عنه، والرؤية ثابتة.

وقال شيخنا أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي لا تتصل به ولا تناله، ومنه قولهم: «أدركته» أي لحقته، «وما أدركت زمانه» هو ضد الفوات، والذين جعلتموهم آلهة من دونه على خلاف ذلك ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ أي يراها ويحيط بها، ويعلم ما تمتد إليه مما ليس لها كما قال ﷻ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ أي العليم بما يَدِقُّ من الأشياء ويلطف، ﴿الخبير﴾ بذلك، وليس لآلهتهم شيء من جميع ما ذُكِر.

الوجه الرابع: أنه نفى الإدراك عن الأبصار وهو كذلك، بل المبصِرون بالبصر، يدركونه وهو يدرك الأبصار وكل موجود، وإنما خَصَّ الأبصار لتطبيق الكلام، وهذا الوجه قد ذكره إمام الحرمين في

«الشامل»، وأبو نصر بن القشيري في «تفسيره»، وهو ضعيف، فإنه مناقشة جدلية لا فائدة تحتها، فإن الإدراك وإن كان للمبصِرين فطريقه الذي حصل به هو البصر.

الخامس: نقل محمود بن حمزة الكرماني في «تفسيره» قال: وقيل إن الله تعالى يحدث للعبيد حاسة سادسة سوى حواسهم الخمسة يرونه بها، وإنما قالوا هذا هربًا مما أورده المعتزلة من أن البصر إنما يتعلق بما كان في جهة فقال هؤلاء: يُرى بحاسة أخرى دون البصر، والأبصار لا تدركه.

ولا حاجة إلى هذا، فالكل بالنسبة إلى قدرته واحد.

وما أحسن ما قال أبو يزيد البسطامي(١٢١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن الله احتجب عن القلوب كما احتجب عن الأبصار، فإذا وقع(١٢٢) تجليًا فالبصر والفؤاد واحد.

فإن قالوا: أليس قد تَمَدَّح بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ كما تَمَدَّح بقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ﴾ فكيف يجوز أن تزول عنه مِدْحَتُهُ.

قيل لهم: إنما تَمَدَّح بكونه قادرًا على حَجْب الأبصار عن رؤيته في الدنيا، وهذه صفة مَدْح ولو كان بحيث تمتنع رؤيته لذاته لما حصل تَمَدُّحٌ بنفي هذا الإدراك بالأبصار، بدليل أن المعدومات

---

(١٢١) طيفور بن عيسى، البسطامي توفي سنة ٢٦١.

(١٢٢) أي : إذا وقع الحجاب .

لا تصح رؤيتها، وليس ذلك لها صفة مدح، وكذلك المعاني من الموجودات وجميع الطعوم والروائح، فلا تَمدُّح في كون الشيء غير قابل لأن يرى، وإنما التمدُّح في كون الشيء مرئيًا مع اقتداره على أن يَحْجِزَ عن رؤيته مَن شاء، ويَصُدَّ المتطلعين عن إدراكه، ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾.

وقد ذكر القاضي أبو بكر محمد بن الطيب رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره في الجواب عن هذا الإشكال وجوهًا:

أحدها هذا، فقال: يمكن أن يكون وجه التمدح بقوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أنه سبحانه يدرك الأشياء، وأنه موجود يصح أن يدرك، وأن كل من يرانا يصح أن نراه من الخلق، وأنه هو سبحانه قد منعنا من الإدراك له، وإن كان مدركًا لنا وأنه ليس فيمن يدركنا ببصره من يمكنه أن يخلق فينا ما يضاد رؤيته، وينفيها فيكون سبحانه ممتَدحًا بقدرته على خَلْقِ ما يضاد رؤيته، وكونه قادرًا على خَلْقِ ضد رؤيته لازم له أبدًا لا يتغير عنه، وكونه خالقًا لما يضاد رؤيته تمدح ببعض أفعاله.

فإن قلت: فإذا كان متمدحًا بعدم إدراك الأبصار له، فيكون وجوده نقصا كما تمدح سبحانه بقوله ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ فهو نفي مطلق عام شامل للأزمان كلها دنيا وآخرة وإذا كان كذلك وجب أن الأبصار لا تدركه مطلقًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، لتستمر صفة المدح.

قلتُ: قد أجاب أصحابنا عن ذلك:

قال الإمام أبو المعالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

لِمَ زعمتم أن ما وقع به التَّمَدُّح فواجب استمراره، ألم تعلموا أن الله تعالى يتمدح بصفات ذاته، ويتمَدَّح أيضًا بصفات أفعاله كعدله، وإحسانه، وإفضاله، فلِمَ قطعتم بأن كل ما تَمَّدح به الرب تعالى لازم من كل وجه.

وقال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

قد يجوز أن يزول عنه المَدْحُ بفعله ألا ترى أنه ممدوحٌ بكونه مُحيِيًا ومُمِيتًا، وإن لم يكن في أوله موصوفًا بذلك(١٢٣)، ولا موصوفًا بأنه يميت أهل النار وأهل الجنة، ثم يحييهم، وإذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه.

قلت: وإذا بطل وكانت هذه الصفة قابلة لأن تخصص ببعض الأزمان دون بعض خصصناها بالدنيا؛ لورود خبر الصادق بوقوع رؤية الله تعالى في الآخرة كما سبق.

وأما ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ ونحو ذلك فإنما تَمدَّح بنفي الآفات عنه، وما لا يليق به فيعم جميع الأزمان.

فإن قلت: ما وجه التَمَدُّح بنفي هذه الأشياء مع مشاركة

---

(١٢٣) هذا الذي قاله القاضي فيه نظر، فعقيدة السلف أن الله عز وجل كان بصفاته أزليًّ،ولا يزال عليها أبديًا، قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مازال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، فكما كان بصفاته أزليًا لا يزال عليها أبديًّا.

الأعراض والموات في ذلك فإنها لا تأخذها سِنَةٌ ولا نومٌ أيضًا، وهذا وارد على ما تقدم من القول بأنه لا تمدُّحَ في كون الشيء غير قابل أن يُرى بدليل أن الطعوم والروائح لا تُمدح بذلك.

قلت: أجاب القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه إنما تمدَّح بنفي هذه الآفات عنه من النوم والسِّنة والولد مع جوازها على غيره من الأحياء، قال: وكل حي ممتنع ذلك عليه فإنه ممدوح به وممدوح أيضًا بكونه حيًّا ليس بميت فنحن إذا قلنا إنه ممدوح بكونه حيًّا، وأن السِّنة لا تأخذه فقد مدحناه بالأمرين.

وقال أبو المعالي رَحِمَهُ اللَّهُ :

ما أراد تعالى تخصيص السِّنة والنوم بالنفي ولكنه نبَّه بهما على تقدُّسِهِ وتنزُّهه عن الغفلات والفترات وسمات المحدثات، والخروج عن قضية العلم، وكلٌّ يعلم أنه تعالى لم يرد تخصيص ضربين من الآفات بالنفي، بل أراد ﷻ إيضاح استحالة خروجه عن وصف العالمين، قال: والأعراض بأنفسها خارجة عن حكم العالمين.

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ :

ما أراد سبحانه تخصيصها بالنفي ولكنه نبه بهما على تقديسه عن الغفلات تأكيدًا لقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ فإن القيم بالأمور الكائنات حَقُّهُ أنه لا يسهو ولا يغفل. قال: ونظير قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ في التمدح قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾.

وقال أبو بكر بن فورك رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

النوم والسِنة نقص ينافي العلم، والرؤية، وليس كذلك إدراك البصر فإنه لا يقتضي نقصًا في المُدْرَكِ، ولا تغيرًا له عما هو به وعليه.

الوجه الثاني في الجواب عن أصل السؤال الذي هو التَمَدُّح بقوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

إنما تمدح بِقوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ولم يتمدَّح باستحالة إدراكه بالأبصار لأن الطعوم، والأراييح، وأكثر الأعراض لا يجوز عندكم أن تُرى بالأبصار، وليست ممدوحة بذلك.

فإن قالوا : فما أنكرتم أن يكون إنما تمدح بأنه يدرك الأبصار، وأنها لا تدركه.

قيل لهم : هذا باطل، لأن الوصفين اللذين يتمدح بهما لابد أن يكون في كلِّ واحد منهما مَدْحٌ لمجرده نحو قوله سبحانه ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ، ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فكل واحد من الوصفين مِدْحة في نفسه مجردًا وإن انضم إليه غيره.

ولما لم يكن كون المعلوم غير مُدْرَكٍ بالبصر مدحًا له عندنا وعندكم بطل ما قلتم ؛ لأن أكثر الموجودات عندكم لا يجوز أن تدرك بالأبصار، وكل المعدومات عندنا وعندكم لا تدرك بالأبصار، وليست بذلك ممدوحات، ألا ترى أنه لو قال ﷻ : إني عالم معلوم، وموجد موجود لكان ممتدحًا بقوله : إني عالم موجد، ولم يكن ممتدحًا بما ضامه من كونه معلومًا، موجودًا ؛ إذ شاركه عندنا وعندكم في هذين الوصفين ما ليس بممدوح بهما فكذلك المدح

في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ دون قوله : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ .

الوجه الثالث : قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

يحتمل أن يكون وجه التَمدُّح في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أنها لا تدركه جسمًا مصورًا متحيزًا، ولا حالًّا في شيء على ما تقول النصارى ولا مُشْبِهًا لشيء على ما يقوله أهل التشبيه، ويكون القصد بذلك الرد على من وصفه بهذه الصفات.

الرابع : قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وليس لأحد من المعتزلة التعلق بهذه الآية ؛ لأن الله جل وعز إنما نفى عندهم من إدراك الأبصار ما أثبته لنفسه في قوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ولم يَعْنِ بذلك عند البصريين أنه يرى الأبصار ؛ لأنها مما لا يصلح أن تدرك، ولا يرى أيضًا شيئًا البتة عند البغداديين، وإنما عنى عندهم أنه يعلم الأبصار فيجب أن يكون إنما نفى بقوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ علمها به تعالى .

وقال أبو المعالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ومما نطالبهم به، وموقعه عظيم عليهم أن نقول : ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ؟

فأما البغداديون فيقولون: ليس الله تعالى مدركًا على الحقيقة، وإنما يسمى سميعًا بصيرًا تجوزًا فيضطرون إلى حَمْلِ قوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ على خلاف الرؤية.

ونحن نقطع بأن الإدراك الذي أثبته الله تعالى لنفسه هو الذي

نفاه عن غيره فإذا لم يَحْمِلْ هؤلاء إدراك الله تعالى على الرؤية امتنع عليهم حَمْلُ إدراك الخلق على الرؤية وسقط استدلالهم جملة.

قال: وأما البصريون فقد وصفوا الرب تعالى بكونه مدركًا على الحقيقة، ولكن الكلبة عليهم أشد؛ فإنهم قالوا: الأبصار ليست من قبيل المرئيات، وسبيلها سبيل الطعوم، والروائح التي لا تصلح رؤيتها لا من الله تعالى، ولا من الخلق فما معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ ؟.

فإن قالوا: معناه: وهو يعلمها.

قلنا: فإذا حملتم ذلك على العلم فاحملوا إدراك الخلق على العلم أيضًا؛ وهذا يجر إلى اضطراب استدلالهم.

وقال أبو نصر بن القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم إن الآية إن دلت على أن الأبصار لا تدركه فليس فيها أنه لا يجوز أن تدركه الأبصار، ولا تَمَدُّح في خروج الشيء عن أن يُرى ؛ فإن الكفر عند الخصوم، والمعدومات عند الكل لا تُرى، وليس لها صفة مَدْحٍ بذلك وإنما التَمدُّح في أن يقال: هو مرئي ولكن يقدر على منع الأبصار عن رؤيته، ثم نفاة الرؤية قد نسوا أنفسهم في التمسك بهذه الآية؛ فإنه نفى الإدراك عن الخلق وأثبته لنفسه فقال: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ وهما بمعنى واحد، وعند البغداديين منهم ليس الله مدركًا على الحقيقة، ويسمى بصيرًا سميعًا على التجوز فيضطرون إلى حَمْلِ الإدراك على خلاف الرؤية فكيف يحملون إدراك الخلق له على الرؤية؟

والبصريون منهم يقولون: هو مدرك حقيقة، ولكن الأبصار ليست من قبيل المرئيات عندهم بل هي كالطعوم والروائح فيستحيل رؤيتها من الله ومن الخلق، فما معنى قوله: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ حتى ننفي عن العبد ما نثبته للرب؟ وغايتهم الحمل على العلم أي: وهو يعلم الأبصار، فليحملوا إدراك الخلق على العلم أيضا.

وقد قالوا: تطرق إلى الخبر تخصيص وتجوز، وعندهم: ما دخله التخصيص صار مجملًا لا يتمسك به.



فصل

ومما تمسك به النافون للرؤية قول الله ﷻ لموسى عليه السلام ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.

وقالوا: كلمة «لن» تتضمن التأبيد، والتخليد، وتحقيق النفي وتأكيده؛ فإن القائل إذا قال: «لن أفعل كذا» اقتضى ذلك نفيه عمومًا على أبلغ وجه في التأكيد، هكذا نقله إمام الحرمين عنهم في «كتاب الشامل»، قال: واستدلوا من هذه الآية أيضًا بقوله تعالى من الإخبار عن موسى صلوات الله عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قالوا: وهذا دليل على امتناع ما سأله موسى عليه السلام.

قال الإمام رحمه الله :

وسبيلنا أن نقول لهم: صَدْرُ الآية حجة قاطعة عليكم؛ فإن موسى صلوات الله عليه سأل الرؤية، ولا شك أنه اعتقد جوازها لما سألها؛ إذ لا يظن به أنه ﷺ سأل ربه محالًا، ومن أصلكم أن من اعتقد جواز الرؤية فهو كافر بالله، أو ضال، فما حيلتكم ـ معاشر المعتزلة ـ في سؤال موسى ﷺ؟ أتظنون أنكم استدركتم في معرفة الله تعالى ما لم يكن موسى عالمًا به؟ أم تزعمون أن من شَدَا[(١٢٤)] طرفًا من علمكم فهو أعلم بالله من صفيّ الله وكليمه صلوات الله عليه ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، قال:

---

(١٢٤) يعني : أخذ.

وقد خاب ظنهم وتباين فيه كلامهم، ومحصول ما قالوه أربع طرق:

فأما أبو الهُذَيل العلاف[١٢٥] فإنه قال: ما سأل موسى ﷺ ربه الرؤية وإنما سأله علمًا ضروريًا والمعنى بقوله ﴿أَرِنِي﴾ أعلمني علمًا ضروريًا.

وقال الكعبي[١٢٦] ومعتزلة بغداد: ما سأل الله الرؤية، بل سأله أن يريه علمًا من أعلام الساعة.

وقال الجاحظ[١٢٧] ومتبعوه: سأل موسى الرؤية، ولكن لم يسألها لنفسه، بل سألها لقومه قطعًا لمعاذيرهم؛ إذ كانوا يسألونه أن يريهم ربهم، ويقولون: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾.

وذهبت شِرْذِمَةٌ من المعتزلة إلى أن موسى سأل الرؤية لنفسه، وكان يعتقد جوازها، ولم يكن عالمًا باستحالتها.

قال: وهؤلاء يقولون: مَن عَلِمَ الله تعالى بعدله وتوحيده، فليس من القوادح في معرفته الذهول عن العلم باستحالة رؤيته.

قال: وهؤلاء شرذمة لا يُؤْبَهُ لهم، والذي صار إليه جماهير القوم ما قدمناه.

فأما ما قاله أبو الهذيل، وتابعه عليه الجُبَّائي، وكثير من معتزلة

---

(١٢٥) محمد بن الهذيل بن عبد الله، من كبار أئمة المعتزلة الضالين، هلك سنة ٢٢٦ هـ.

(١٢٦) عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، له مقالات كفرية وهو من أئمة المعتزلة، هلك سنة ٣١٩ هـ.

(١٢٧) عمرو بن بحر إمام معتزلي كبير، توفي سنة ٢٣٩ هـ.

البصرة فهو ظاهر البطلان، وليس تجري أقوال هؤلاء مجرى التأويل المزيل للظاهر، وإنما هو مخالفة للنصِ، وَحَيْدٌ عن مقتضى الكلام على القطع، والذي يحقق ذلك أوجه منها: أن الرؤية وإن أُطلِقت بمعنى العلم في بعض المواضع، فإذا قُرِنت بالنظر، ثم عُدِّي النظر بـ«إلى»، فلا تحتمل العلم بوجه.

وقد قال ﷻ منبئًا عن موسى ﷺ ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ فمن رام صرف ذلك عن الإدراك كان متعسفًا في تأويله.

ومما يوضح ما قلناه: أن المعتزلة كافة مجمعون على أن قوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ليس المراد منه نفي العلم، وإنما المراد منه نفي الرؤية، وقد عدوا ذلك من عُمُدِهم، ولا خلاف بين أهل التأويل، وعلماء الأمصار في أن قوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ جواب لموسى عليه السلام، ومِنْ حُكْم الجواب أن يكون متناولًا لقضية السؤال بالنفي والإثبات فيستحيل إذن أن يسأل موسى العلم فيجيبه الرب تعالى بجواب يتصل بالرؤية ولا يخفى دَرَكُ فساد ذلك على محصل.

قال: وأما ما قاله الكعبي من أن موسى عليه السلام سأل الله أن يريه عَلَما من أعلام الساعة وآية من الآيات فهذا بعيد جدًّا؛ وذلك أن الرؤية مضافة إلى الله تعالى في قوله ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ فمن رام حَمْلَ ذلك على آية فقد ترك الظاهر، والفحوى، وليس يسوغ التحكم بإزالة الظواهر من غير نصب دليل.

ثم قوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ محمول عند كافة المعتزلة على رؤية الباري ولذلك أطبقوا على الاستدلال به في نفي الرؤية، وهو

جواب لسؤال موسى، ومن حُكْمِ الجواب أنْ يتعلق بموجب السؤال، ومن المستحيل أن يسأل الله موسى آية فيجيبه الله سبحانه وتعالى بأنه لا يرى ربه. هذا تهافتٌ في الكلام يتوقاه كل لبيب، فكيف يُظَنُّ بكلام الله العزيز؟.

نقول: يبعد أن يسأل موسى آية، وكان محتوشًا بالآيات(١٢٨) والمعجزات، ولو سأل المزيد فيها لما لاقى ما لاقى من الصَّعْقِ، وعظيم الذعر، ولكان ما سأل من جنس ما أُعطى.

قال: وأما ما ذكره الجاحظ، وكثير من معتزلة البصرة أن موسى عليه السلام سأل الرؤية لقومه قطعًا لمعاذيرهم، فإنهم طالبوه بأن يريهم ربهم ما سأل، ليوضح الله لهم استحالة مرامهم.

فنقول: هذا ركيكٌ من القول مرذولٌ، وأول ما فيه: أنه مخالفة الظاهر، ومخالفة أقوال أهل التفسير.

فأما الظاهر فقوله ﴿أَرِنِيٓ﴾ وهذا مصرّح بسؤال الرؤية لنفسه، ثم أكّد فقال: ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ ورجع الجواب أيضًا على الاختصاص بخطاب موسى عليه السلام فإنه تعالى قال ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فلا معنى للتحكم بإزالة الظاهر.

وقد أجمع أهل التفسير المشتغلون بضبط التواريخ على أنه عليه السلام سأل الله تعالى الرؤية في أول مقام وموقف، وإنما سأل قومه ما سألوا بعد خروجه صلوات الله عليه من مصر بقومه بعد انفلاق البحر وإهلاك الله فرعون.

(١٢٨) يعني: مُحاطًا بالآيات الكثيرة .

قلت: هذا وَهَمٌ من الأمم؛ فإن الأمرين كانا بعد مجاوزة البحر، وإهلاك فرعون، ومن قرأ الآيات في سورة الأعراف من قوله ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ إلى آخر القصة عرف ذلك. نعم يجوز أن يقال: إن طلب موسى الرؤية كان قبل طلب قومه للرؤية لأمرين:

أحدهما : سياق القصة في سورة الأعراف؛ فإنه بعد ذِكْرِ إفاقة موسى من الصعقة واتخاذ قومه العجل، ورجوعه إليهم ذكر سبحانه أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلًا، فلما أخذتهم الرجفة وهي الصاعقة المذكورة في سورة البقرة وسورة النساء وهؤلاء، قيل - هم الذين سألوا الله الرؤية.

والثاني : من جهة المعنى وهو أن القوم لو كانوا سألوا الرؤية أولًا، وأخذتهم الرجفة، لأغنى موسى عليه السلام ذلك عن اقتحام طلب الرؤية، ولكن فيما أصاب قومه ما يزجره عنه، مع أن في سورة النساء ما يدل على أن سؤالهم الرؤية كان قبل اتخاذهم العجل؛ لأنه قال: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ وكلمة ثم تقتضي الترتيب والتراخي، واتخاذ قوم موسى العجل كان في المدة التي اشتغل فيها موسى بالمناجاة، وأبطأ عليهم، ولهذا قال لهم ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ وإذا كان ذلك كذلك ظهر أن سؤالهم الرؤية كان قبل سؤال موسى لولا ما ذكرناه من الدليل المعنوي فيجب اعتقاد أن سؤالهم بعد سؤال موسى، وهو أيضًا من أعاجيب أمور بني إسرائيل، فإن موسى رد وصعق لما سأل فكيف اجترءوا

على السؤال بعده؟

ويحتمل أن يكون السؤال واحدًا سأل قوم موسى موسى ذلك فسأل موسى ربه فأخذت الصاعقة الجميع، وخَصَّ الله تعالى موسى بقوله ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ وعلى هذا يكون الذين سألوا الرؤية غير السبعين المختارين، فإن السبعين أصابتهم الرجفة بعد اتخاذ قومهم العجلَ، ولهذا قال موسى عليه السلام ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ الآية.

ثم قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب ما قال الجاحظ وأتباعه:

لو صح ما قلتموه لأفضى ذلك إلى نسبة موسى عليه السلام إلى ما يخالف التعظيم والخضوع والخنوع لله تعالى، ولجر إلى الاجتراء عليه إساءة النطق في مسألته، فلو كانت الرؤية مستحيلة مفضية إلى التشبيه والتمثيل والتشكيك لكان موسى قد صرح بمسئلة محال، ونطق بضلال من غير أن يضيفه إلى غيره، وذلك مما بَرَّأ الله الأنبياء عنه، والدليل عليه: أن أمة لو سألت نبيها أن ينتقل إليهم ربهم تحولًا وزوالًا، وأن يكون منعوتًا بسمات الحديث لما صح من النبي أن يقول قطعًا لمعاذيرهم: ربِّ انتقلْ وتحولْ، وزُلْ.

كيف ولو نطق الناطق منا بمثل ذلك لكان ناطقًا بالكفر، ولا يعذره في نطقه رومه قطع معاذير قوم فكيف يظن بنبي الله، وأجدر عالمي زمانه بالتأدب في نطقه وفعله أن يجوِّز بغية ضلال ومسئلة محال من غير أن يسنده إلى قومه، وكان عليه السلام مقتدرًا ـ لو صح ما قلتموه ـ على أن يقول: قد أعْنَتَنِي قومي، وسألوني محالًا،

فإن كان ما سألوه محالًا فبيِّنْ لهم، واقطَعْ أطماعهم عن هذه.

والأنبياء صلوات الله عليهم لا تأخذهم في الله لومة لائم وهم مُبَرَّءون من خائنة الأعين، وقد ضربت عليهم العصمة العامة للجوارح والألسن.

ومن الدليل على ذلك أنهم لما سألوه أن يجعل لهم إلهًا أغلظ عليهم القول، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

قال: وأما من قال من المعتزلة: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية لنفسه، ولم يكن عالمًا باستحالتها فقد أعظم الفرية، وتقحم في المطاعن على الأنبياء صلوات الله عليهم، والتزم أن يكون بعض أهل زماننا عالمًا مِن حُكْمِ الله بما لم يعلمه موسى، وهو على رتبته وصفوته وهذا خروج عن الملة؛ إذ الأمة مجمعة على أن الواحد من الناس يستحيل أن يستأثر بمعرفة حكم من أحكام الله تعالى دون صفي الله وكليمه، ثم كيف يستقيم ذلك على أصول المعتزلة مع قولهم باستحالة جريان الصغائر على الأنبياء صلوات الله عليهم، ومصيرهم إلى أنها لو جرت عليهم لَنَفَّرَت من اتِّبَاعِهِم، ولحَطَّتْ من رُتبتهم، ولكان ذلك داعية إلى تكذيبهم والإزراء عليهم.

فإذا كان هذا قولهم في صغيرة فكيف مع ذلك أن يجهل كليم الله من أمر ربه ما يعلمه أهل زماننا؟

ثم نقول: ما قولكم في من اعتقد جواز الرؤية، وصمم عليه أهو ضالٌّ أم لا؟.

فإن زعموا أنه ضالٌّ فقد نسبوا موسى عليه السلام إلى اعتقاد ضلال.

وإن زعموا أن معتقد جواز الرؤية ليس بضالٍّ فقد تركوا دينهم وجانبوا أصلهم، فإن أقل ما ينسبوننا إليه الضلال في تجويزنا رؤية الباري تعالى.

قال:فإذا بطلت هذه الطرق الأربع لم يبق بعدها إلا القطع بأن موسى عليه السلام سأل الرؤية واعتقد جوازها، وكان معتقده حقًّا صدقًا غير مُفْضٍ إلى تشبيه وتمثيل، وتثبيت جهات، ومقابلات، وهذا من أقوى ما يتمسك به في السمعيات.

قال: فإن قالوا: أليس قال الله في جوابه ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ وهذا يقتضي تأبيد النفي.

قلنا: الآية ليست متضمنة نفي جواز الرؤية؛ إذ ما قال الله تعالى: لا يجوز أن تراني بل قال ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ وكم من جائز وقوعه نفاه الله تعالى، وهذا كما أن خروج أهل النيران من أطباقها ممكن، وقد قضى الله تعالى على الكفرة بالخلود، وعلَّق خروجهم بمستحيل فقال ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

ثم نقول: سأل موسى عليه السلام الرؤية عاجلًا وما تعرض لها آجلًا، ومن مذهب كثير من الأصوليين قصر الجواب على خصوص السؤال.

وقال القاضي أبو بكر رحمه الله :

أراد الله سبحانه بقوله ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي في الدنيا؛ لأنه إنما سأل

ربه أن يريه نفسه في الدنيا فقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ جواب لهذا السؤال، ولو لم يكن جوابا لكان مخصوصا بقوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم تمسك أصحابنا بوجهين من الآية:

أحدهما: أن قالوا: لو كانت الرؤية مستحيلة لما علَّقها الله تعالى بجائز ممكن؛ فإنه عزَّ مِن قائل قال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ وكان موصوفًا بالاقتدار على تثبيت على التجلي ولم يكن بقاء الجبل من المحالات، فدل ذلك على أن الرؤية ممكنة؛ إذ عُلِّقَتْ على ممكن.

والوجه الثاني: أن التجلي عند المفسرين محمول على رؤية الجبل ربه؛ فإنه تعالى كان رائيًا للجبل مُطِلًّا عليه قبل أن يرضص ويدكك، وإنما حدث ما حدث، وطرأ ما طرأ؛ لأن الله تعالى خلق للجبل الحياة والرؤية، وتجلى له فتدكك، وأعلم موسى أن مِن حكمه وقضائه أن لا يصبر في دار الدنيا شيء على لقائه.

وقال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أنه أرى نفسه الجبل فتدكك وصار قِطعًا لما أحب الله سبحانه من إعلام موسى أن أحدًا لا يراه في الدنيا إلا لحقه ما لحق الجبل؛ لحكمه جل اسمُه بجَعْل الدنيا دار تكليف وإيمان بالغيب، ومعنى قوله ﴿تَجَلَّىٰ﴾ أي أنه رفع من الجبل الآفة المانعة له من رؤيته تعالى، وأحياه، وخلق فيه الإدراك له فرآه.

وقد يكون التجلي ظهورًا، وبروزًا، وخروجًا من وراء السواتر

والحجب وذلك من صفات الأجسام والله يتعالى عن ذلك.

وقد يكون التجلي بمعنى رَفْعِ الآفات المانعة من الإدراك ومن ذلك قولهم: «تجلَّتْ لي الألوان»، و«تجلَّتْ للضرير المبصرات» إذا أبصر المرئيات، وتجلى لي الأمر إذا زالت عوارض الشبه فيه.

وأما الحجاب فقد يكون بمعنى السائر والمانع، ومنه سمى حاجب الأمير حاجبًا؛ لمنعه منه، ودفعه عن الوصول إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ يعني الكفار أي ممنوعون بالآفات الموضوعة في أبصارهم المانعة من رؤيته تعالى إهانة لهم، وتفريقا بينهم وبين المؤمنين.

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فإن قالوا: ما معنى قوله تعالى في الإنباء عن موسى ﷺ ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾.

قلنا في ذلك أوجه:

منها أن نقول: لعله لما رأى الآيات العظيمة، وذُعِر لها، وارتدع منها جَدَّد عندها التوبة والإنابة، وليس الغرض تخصيص التوبة بما تقدم من السؤال. والمؤمنون بالله إذا رأوا آية عظيمة خضعوا، وخنعوا عندها، وتسرعوا إلى تجديد التوبة والإنابة مما قدموا.

قال: ويجوز أن نقول: إنما تاب من الإقدام على سؤال الرؤية في الدنيا؛ لما أعلمه الله أنه لا يراه في الدنيا، فتاب من مراجعة السؤال، ثم التوبة هي الرجوع في لغة العرب سواء تقدم ذنب أو لم

يتقدم، ومنه يقال: تاب وآب، وتاب وأناب إذا رجع، ومنه سمى الله نفسه توابًا ومعناه: الرجوع على المُكَلَّفِين بالعطف والرحمة، فليس من ضرورة التوبة تقدُّمُ مقارفة.

وقال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يمكن أن يكون ذَكَرَ ذنوبًا كانت له قبلُ، قَدَّم التوبة منها، فجدَّد التوبة عند ذِكْرِها؛ لِهَوْلِ ما رأى، كما يسارع الناس إلى التوبة، ويجددونها عند مشاهدة الأهوال، والآيات.

قال: ويحتمل أن يكون المعنى في قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من ترك استئذاني لك في هذه المسئلة العظيمة، ومثلها، أو: تبتُ إليك أن أسألك الرؤية؛ لِهَوْلِ ما أصابني، لا لأنها مستحيلة عليك، ولا لأني عاصٍ في سؤالي، كما يقول القائل: تبتُ من ركوب البحر، ومن كلام فلان، ومن معاملته، ومن الحج على جمل، إذا ناله في ذلك وَصَبٌ وشدة، وإن كان مباحًا حسنًا جائزًا، والتوبة هي الرجوع عن الشيء، ومن ذلك يسمى الإقلاع عن الذنوب، والعودة إلى طاعة الله توبة، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أي رجع بهم إلى التفضل والامتنان ليرجعوا عَمَّا كانوا عليه، وليس الرجوع عن الشيء يقتضي عصيانا.

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما قوله ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقد أجمع المسلمون أن موسى ﷺ لم يرد نفي الإيمان عن نفسه قبل حالته، وإنما لقوله تأويلان:

أحدهما: وأنا أول المُصَدِّقين بأنك لا تُرى في الدنيا. والإيمان هو التصديقُ في حقيقة اللغة.

والثاني: أنا أوَّلُ مؤمني زماني، وليس الغرض تخصيص الإيمان بوقت.

والدليلَ عليه: أنه أضاف الأولية إلى نفسه لا إلى إيمانه فلم يقل: «وهذا أول إيماني» فاستبان بجميع ما ذكرناه سقوط احتجاج المعتزلة بالآية.

قال: وأما قولهم كلمة «لن» تقتضي التأبيد في النفي فليس كذلك، قال الله تعالى لليهود ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، ثم أخبر عنهم أنهم لن يتمنوه أبدًا ثم أخبر عن عامة الكفرة أنهم يتمنون الموت في الآخرة فيقولون ﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ يعني الموت، وظاهر الآية لن يتمنوه أبدًا في الدنيا بما قَدَّمَتْ أيديهم من تحريف التوراة ضررًا من العذاب بعد الموت.

قلت: وقد ادعى بعض المشايخ ضد ما ادعوه في «لن» مِن التأبيد فقال: «لن» إلى وقت، «ولا» على الأبد. والحق أنهما معًا لمجرد النفي عن الأفعال المستقبلة، والتأبيد وعدمه يؤخذان من دليل خارج عنهما، وقوله تعالى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ محمول على الدنيا؛ بدليل تمنيهم الموت في الآخرة ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ثم لو كان الأمر أنهم لِيسوا يتمنون الموت أبدًا لا في الدنيا، ولا في الآخرة لما دل ذلك على ما ادعوه؛ إذ لَخَصَّهم أن يقول: إنما جاء ذلك من قوله تعالى في هذه القصة بعينها ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ في سورة الجمعة، فلا هي التي اقتضت التأبيد لا «لن» وإن استدلوا على أن «لن» للتأبيد بقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ و ﴿

﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا﴾ عورضوا بقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ﴾ ونحو ذلك مما هو للتأبيد، وقد استعملت فيه «لا» دون «لن»، فدل مجموع ما ذكرناه على ما ادعيناه من أنهما لمجرد النفي، والتأبيد وعدمه يستفادان من دليل غيرهما.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١٢٩)]:

ومما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قوله موسى كليم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ ولا يجوز أن يكون نبي من الأنبياء قد ألبسه الله جلباب النبيين، وعَصَمَه مما عَصَم منه المرسلين يسأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلًا، وأن الرؤية جائزة على ربنا عَزَّ وَجَلَّ.

قال[(١٣٠)]: ومما يدل على ذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ لموسى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ فلما كان قادرًا على أن يجعل الجبل مستقرًّا كان قادرًا على أن يُرى نفسه عباده وأنه جائز رؤيته، وقوله ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أراد به في الدنيا دون الآخرة بدليل ما مضى.

وقال غيره: لما علَّق الله الرؤية باستقرار الجبل دل ذلك على

---

(١٢٩) «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» (ص١٢٨).

(١٣٠) يعني البيهقي في المصدر السابق.

جواز الرؤية؛ لأن استقراره غير محال، فدل على أن ما علَّق عليه من كون الرؤية غير محال أيضًا ألا ترى أنه لما كان دخول الكفار الجنة لما كان مستحيلًا علَّقه بشيء مستحيل وهو قوله ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.



فصل

نقل الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي[١٣١] رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «حقائق التفسير» عن جماعة من الأولياء ألفاظًا حسنة في معاني هذه الآية:

فبعضهم قال: كان موسى عليه السلام غائبًا عن طبع البشرية حتى استطاع المقام في وقت الكلام والمناجاة، فلما وجد حلاوة الكلام طلب الكشف في الحال غائبًا عن الحال.

وبعضهم قال: انبسط إلى ربه في معاني الرؤية لما ظهر عز الكلام، ولم ينطق بأناة ألا ترى أنه لما رجع إلى وصفه رجع إلى أوائل المقامات فقال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ وقال في قوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ شغله بالجبل، ثم تجلى، ولو لم يشغله لمات وقت التجلي.

وقال آخر: قوله موسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لو تركه على ذلك لتقطع شوقًا، لكنه سكنه بقوله: ﴿وَلَٰكِنِ﴾.

---

(١٣١) محمد بن الحسين بن محمد أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري الصوفي الكبير، تكلموا فيه، وليس هو بعمدة، وكان يضع الحديث، وله تصانيف كلها غارقة في بحر التصوف الأجاج.

وتفسيره المسمى بـ«حقائق التفسير» مليء بالفلسفة والقرمطة الباطنية والتصوف حتى قال الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ : لو اعتقده مصنفه لكفر . راجع ترجمته في «ميزان الاعتدال» (٣/٥٢٣).

وقال آخر: الجمال، والكرم يبقيان، والجلال، والهيبة يفنيان، كما أن الله تعالى كلم موسى بصفة الهيبة، وتجلى للجبل فصار دكًّا، وخَرَّ موسى صَعِقًا، وكان آخر عهده بالنساء. ولم يتهيأ لأحد أن ينظر في وجهه.

وقال بعضهم: ينال الكون من صفاته ونعوته على قدر احتمالهم.

قلت: ولأبي القاسم الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية كلام طويل على طريقة أقوال المعتزلة التي تقدمت، ثم قال: فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرجف الجبل بطالبيها، وجعله دكًّا؟ وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر، وكيف سبح ربه ملتجئًا إليه، وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال: أنا أول المؤمنين [١٣٢].

وقد أبلغ في الرد على جميع ما قاله شيخنا أبو الحسن علي ابن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره، ووصف كلامه بأن قال: لقد صعد الزمخشري في هذه المسألة إلى الجو، ونزل إلى الدو ولم يترك في كنانة الضلال سهمًا إلا رمى به ولا وزرًا من المحال إلا ذبحنا به، ثم ألقى زمامه بيد الحيرة، وجعل يسلك طريقًا ثم يدعه، ويسلك غيره، ومن تدبر كلامه رأى كلام من اختلط حسه ولامته على ما أورده نفسه، وشرع في نقص كلامه حرفًا حرفًا.

ثم قال الزمخشري : تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين

---

(١٣٢) علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي المصري.

بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا من هذه الكلمة مذهبًا، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة، فإنه من منصوبات أشياخهم، والقول ما قال بعض المدنية فيهم:

لَجَماعَةٌ سَمَّوا هواهم سُنَّةً وجماعةٌ هم لَعمري مُوكفة

قد شَبَّهوه بخلقِهِ وتَخَوَّفوا شَنَعَ الورى فتستروا بالبلكفة

يريد قول أصحابنا: «المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة بلا كيف»، فعبر عن قولهم «بلا كيف» بالبلكفة، فهو من باب البسملة والحمدلة. أي أن قولهم مُفْضٍ إلى التشبيه، ويقولون «بلا كيف» على سبيل التستر.

«والعدلية» هم المعتزلة سموا أنفسهم بذلك زاعمين أنهم نسبوا الله تعالى إلى العدل حيث آخذ العباد بما جنوه على أنفسهم، ولم يَجْرِ به القضاء عليهم، ووصفوا أصحابنا بأنهم نسبوا الجور على الله جل وعلا حيث اعتقدوا أنه قضى على الخلق بجميع ما يأتونه، وأنه سبحانه معاقب لهم على ما اقتضاه عليهم.

والحق مع أصحابنا، فإن الله تعالى لا راد لما قضى، ولا يقع في مخلوقاته خلاف مراده، وله أن يفعل ما يشاء لا يقاس فعله بفعل خلقه.

وقد أجاب بعض أصحابنا عن هذين البيتين بمثلهما فقال:

عجبًا لقوم ظالمين تلقبوا بالعدل ما فيهم لعمري معرفة

قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات الله مع نفي الصفة

وقال آخر:

وجماعــة كفــروا برؤيــة ربهــم هــذا ووعــد الله مــا لــن يخلفـه
وتلقبــوا عدليــة قلنــا أجــل عــدلوا بــربهم فحسـبهم سـفه

قلت: وتعطيلهم لذاته من حيث نفي قيام صفاتها بها من الحياة، والعلم، والإرادة والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، ونفوا مع ذلك صفة الرؤية وهي كونه سبحانه مرئيًا للمؤمنين في الدار الآخرة.

ولشيخنا أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيهم:

يـا فرقـة زعمـت بـأن العبـد مثـل إلهــه مــا شــاء مــن شــيء فعــل
وســموا بأهــل العــدل أنفســهم وكل عن طريق الحق منهم قد عدل
لِمَ لا يُرى من غير كيف من يرى يِرى مـن غيـر كيـف يـا ذوي شـر النحـل

أي أن الرؤية لا تستحيل في حقه سبحانه مع عدم الجهة، كما أن الرائي لابد وأن يكون من المرئي في جهة، والباري سبحانه راء، وليس في جهة، فكما جوز العقل رائيًا ليس في جهة كذلك يجوز مرئيًا ليس في جهة(١٣٣).

قال: ثم إن الإجماع قد وقع منا ومنهم على أنه سبحانه لا تدركه الأبصار في الدنيا، والألف واللام في الأبصار للعهد أي هذه الأبصار المعهودة، والتجلي للجبل لا يخلو أن يكون من جنس ما

(١٣٣) تقدم التنبيه على خطأ هذا الكلام – يعني استخدام لفظ الجهة .

طلبه موسى عليه السلام أو ليس من ذلك فمحال أن يكون من غير ما طلبه؛ لأن موسى عليه السلام يعلم أن الله تعالى قادر على أن يسير الجبال كلها، ويطوي السموات والأرض في أوهن زمان، وإنما أراد ﷻ أنك لا تطيق ما طلبت، ولا تستطيع رؤية ما أردت، وهذا الجبل الذي هو أقوى منك خلقًا، وأعظم جرمًا لا يستقر لذلك.

قال: فهذا دليل واضح على أن الرؤية ممكنة، وإنما امتنعت من ضعف الرائي وعجزه عن ذلك، فإذا كان في القيامة أوجد الرائي على خلاف ما هو عليه في الدنيا، فرأى في الآخرة ما كان لا يستطيع رؤيته فيها.

قال: وهؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره فزعموا أنهم نزهوه، وليس بمنزه الله من لم يقدره حق قدره.

قال: وأما قوله: ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة، وما أورده في بيته القائلين أقبح القول وأسخفه، فقد أوردناه في جوابه ما يعرفك به وبأصحابه أتم المعرفة فقلت:

لا دَرّ دَرُّ عصابة مخذولة مثل البها ... ئم والبهائم مهمله

جعلوا مقام المؤمنين ككافر من ... دونه ضرب الحجاب وأسبله

أوما تلوا ما في القيامة والذي في ... سورة التطفيف مما أنزله

ردوا الحديث المستنير وكذبوا من ... قد رواه وجرحوا من عدله

يسمون أهل الحق مجبرة وما ... زادوا على ما قد تلاه وفصله

إذ جف بالقلم المداد وإذ جرى ... بالكائنات وخط ما حُدَّ له

والعبد يفعل ما يشاء بزعمهم ... وله إذا ما شاء أن لا يفعله

واستقبحوا شركا أتوه فستروا ... وجه الفضيحة باعتلال المعدله

أو ظالم متصرف في ملكه هذاك ... افقره وهذا خوله

والمؤمن العاصي له في زعمهم ... نار الخلود يديمها من أدخله

جحدوا شفاعة أحمدٍ والله قد ... أعطاه منزلة الشفيع وفضله

عدلوا عن المتلى فسموا في الورى ... عدلية ولهم نفاذ من البله

لم تشتمل أثوابهم إلا على حمر ... وكم حمر رأيت مجلله

قلت: ثم نظمت هذه الأبيات:

قال الرسول ترون ربكم وفي ... ناظره وجوه ناضرة

من غير تشبيه فآمنا به ونفاه ... قوم ذو عقول حائرة

وتلقبوا بالعدل من باب العدول ... عن الصواب فلا لعا للعاثرة



فصل

في جملة من شبه المعتزلة غير ما تقدم والجواب عنها

قال الإمام أبو المعالي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومما احتجوا به قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾.

ووجه الدليل على زعمهم أن الله تعالى وبخَّ الذين سألوا رؤية الله تعالى، وجعل سؤالهم كبيرة، ولو كان ذلك جائزًا ممكنًا لما استوجب السائلون ذلك.

قال: وهذا ركيك من الاستدلال، وأول ما في الآية أن الله تعالى ذكر سؤال قريش آيات ممكنة جائزة مقدورة كإخراج ينبوع، وكالرقي في السماء.

قلت: كذا قال، وليس أول الآية هذا، إنما أول الآية ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وما ذكره أبو المعالي فقد سألته قريش وهو في سورة سبحان.

ثم قال: وكل ذلك من المقدورات لو أراد الله تعالى، ثم قال: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾، والتفاضل لا يقع إلا بين جائزين ممكنين أحدهما أكبر من الآخر، ثم السائلون استوجبوا التقريع من وجهين:

أحدهما: أنهم تحكموا على نبيهم بعد وضوح الآيات،

وظهور المعجزات، وليس للأمم التحكم على أنبيائها في اقتراح الآيات، وما اقترحت أمة آية إلا أعنتهم الله بها، والذي يوضحه أن الله تعالى كما وبّخ هؤلاء وبّخ من سأل النبي ﷺ الرقي في السماء وإن كان ذلك ممكنًا جائزًا.

قال: ومما يسقط استدلالهم أن الذين سألوا الرؤية من بني إسرائيل علقوا إيمانهم بها. وامتنعوا من الإيمان دونها، وهذا كنه الاعتداء، وغاية العناد وقد قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾.

وقال القاضي أبو بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لم ينكر الله سبحانه مسئلة أخلاف بني إسرائيل أن يُنَزِّل عليهم كتابًا من السماء، ولا مسئلة أسلافها أن يروا الله جهرة لاستحالة ذلك، وإنما أنكره لأنهم سألوا ذلك على طريق الإعنات لموسى عليه السلام ومحمد ﷺ، والشك في نبوتهما والتقدم بين أيديهما، والامتناع من فعل ما أوجب عليهم من الإيمان بالله تعالى حتى يروه، ويعاينوه، وحتى يفعل ما يؤثرونه، ويفتاتونه فأنكر الله سبحانه ذلك من فعلهم وقولهم، كما أنكر سؤالهم إنزال كتاب من السماء لا لاستحالة ذلك في قدرته، وكما أنكر قول من قال ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ إلى قوله ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾؛ لأن هذا أجمع إنما كان منهم على وجه الاستخفاف بالرسل، والتمرد عليهم لا على طلب اليقين والزيادة في العلم.

وقال الزمخشري في قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾: أي بسبب سؤالهم الرؤية، ولو طلبوا أمرًا جائزًا لَمَا سُموا ظالمين، ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالمًا ولا رماه بالصاعقة.

قلت: إنما سماهم ظالمين بسبب ما ذكرنا من تعنتهم وتمردهم، واستهزائهم على ما سبق شرحه.

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن ما أنكرتم من أنع لو رئي بالأبصار لوجب أنْ يكون جسمًا، أو جوهرًا أو عرضًا، أو محدودًا، أو حالًّا في محدود، أو مقابلًا، أو مقابل المكان، أو مباينًا أو مباين المكان، أو متصلًا به الشعاع، أو متصلًا بمكان وأن يكون من جنس المرئيات؛ أننا لم نعقل مرئيًا إلا كذلك.

يقال لهم: لو وجب هذا لوجب إذا كان معلومًا بالقلوب وموجودا أن يكون جسمًا، أو جوهرًا، أو عرضًا، وفي العالم أو غيره من الأماكن، أو يقدر تقدير الأماكن، لأننا لم نعقل معلومًا ألا كذلك، وإذا كان شيئًا لا يخلو أن يكون جسمًا، أو جوهرًا، أو عرضًا وإذا كان حيًا عالمًا قادرًا سميعًا بصيرًا أن يكون جسمًا مجتمعًا ذا حيز في الوجود؛ لأننا لم نعقل حيًّا عالمًا قادرًا رائيًا إلا كذلك، فإن مروا على هذا تركوا التوحيد، وإن أبوه أبطلوا جميع ما سألوا عنه.

وقال الشيخ أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١٣٤] :

الرؤية نوع من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة[١٣٥] جاز تعلق الرؤية به، وكما يجوز أن ترى اللهُ الخلق وليس في مقابلتهم[١٣٦] جاز أن يراه الخلقُ من غير مقابلة، وكما أن يعلم من غير كيفية وصورة، جاز أن يُرى كذلك من غير كيفية وصورة، وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الأرباب ما جهله موسى بزعمه؟ أم كيف سأل موسى الرؤية مع كونها محالًا؟

قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فإن قالوا ما أنكرتم أنه لو جاز أن يُرى لرأيناه الساعة؛ لأن الموانع المانعة من رؤية ما يجوز أن يُرى منتفية عنه وهي: الرقة، واللطافة، والحجاب، والبعد، وذلك مستحيل على الله جل ذِكْره، فوجب أن نراه لو كان مما يجوز أن يرى.

يقال لهم: ليس فيما ذكرتموه شيء يمنع من رؤية المرئي؛ لأننا نرى اللطيف مع لطافته عند زيادة الإدراك، ونرى البعيد مع

---

(١٣٤) محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي، وُلد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي سنة خمس وخمسمائة بطوس يوم الاثنين. شغل وقتًا كبيرًا من عمره بعلم الفلسفة والكلام، فوقع في مزالق كثيرة، وأصابه شرٌّ كثير بسبب ذلك، وفي ترجمته في «سير أعلام النبلاء» فوائد عزيزة نفيسة فلتراجع .

(١٣٥) تقدم أكثر من مرة التنبيه على أن نفي الجهة فيه تفصيل، ولا يصح إطلاق نفيه، ولا يصح إثباته،والله أعلم، إلا أن استخدام الغزالي لهذا اللفظ ليس على الطريقة السوية المرضية.

(١٣٦) وهذا كالذي سبقه.

بعده، ونرى المحجوب إذا قوي الإدراك وزاد الشعاع فأنفذ خروقه، والمحتضر بالموت يرى ملك الموت ونحن لا نراه وإن كنا بحضرته، وكذلك الرسول ﷺ كان يرى جبريل عليه السلام والصحابة لا يرونه، وكذلك الملائكة يرى بعضهم بعضًا مع رقتهم ونحن لا نراهم.

وما منع من رؤية الشيء لا يقال: يجوز أن يقارن الرؤية له فوجب ألا يكون فيما ذكرتموه شيء يمنع من رؤية المرئيات، كما أن الجهل المانع من العلم بالشيء لا يجوز أن يقارنه بحال.

فإن قالوا: فما المانع من رؤية هذه الأمور؟

قيل لهم: وجود ما يضاد إدراكها في أبصارنا، ولو رفعه الله ﷻ أدركناها وهذا المانع هو الذي يمنع من رؤية الله تعالى في هذا الوقت.

فإن قالوا: فأجيزوا أن يخلق الله فيكم إدراك ذرة، ويمنعكم إدراك فيل إلى جنبها.

قيل لهم: هذا جائز في قدرة الله تعالى.

فإن قالوا: فأجيزوا الساعة ذلك، وشكوا في أن بحضرتكم فِيَلَةً، وجِمالًا، وأنهارًا جارية، وأنتم لا ترون ذلك، وإن كنتم ترون ما هو أصغر منه.

قيل لهم: لولا أنا مضطرون إلى العلم بأن ذلك ليس بموجود لأجزناه، وليس يجب أن نشك اليوم في أن الله تعالى قد فعل كل مقدور عنده، كما لا يجب أن نشك في أنه قد خلق اليوم إنسانًا لا

من أبوين، وفرسًا من نتاج، ونارًا غير محرقة بشيء، وتمرًا لا من نخيل، ولبنًا لا من ضرع، وأنه قد أحيا الأموات بسائر الأقطار، وعرج بنا البارحة إلى ملكوت السماوات، ثم رددنا إلى مضاجعنا وأنه قد أمات كل من فارقناه يومًا أو ساعة من أقاربنا، وأصدقائنا ألف مرة ثم أحياه بعد ذلك، وإن كان ذلك مقدور الله سبحانه فبطل بذلك ما سألتم عنه.

قال الإمام أبو المعالي رَحِمَهُ اللهُ :

ومما يتمسكون به في رَوْمِ القَدْحِ في الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنهم قالوا: ليس النظر وإن عُدِّيَ بـ «إلى» من الرؤية والإدراك بسبيل، وإنما النظر تحديق الناظر إلى جهة المنظور إليه، وتوجيه حاسته إليه، وليس المراد به الرؤية.

واستدلوا على ذلك بأوجه منها:

أنهم قالوا: قد يقول القائل: نظرتُ إلى الهلال فلم أره، فلو كان النظر يراد به الرؤية لكان ذلك من متناقض الكلام، ولكان ينزل منزلة القائل: رأيتُ الهلال فلم أره.

قالوا: ومن الدليل على ذلك حُسْنُ قول القائل: نظرتُ إلى فلان فرأيته، وهذا يتضمن خروج النظر عن معنى الرؤية، وإنباؤه عن مقدمتها، وأسبابها الوصلة إليها.

قال: ومما تمسكوا به في ذلك أن قالوا: العرب لا تصف النظر بالتحديق، والخضوع والازْوِرار وغيرها من الوجوه، وإنما تصف العرب ما ترى، وتبصر، فدل ذلك على أنهم عنوا بالنظر

تقليب الحاسة، وترديدها في الجهات.

قلنا: هذا الذي ذكرتموه لا محصول له؛ وذلك أن النظر المُعَدّى بـ «إلى» هو الرؤية الحقيقية بلا خفاء، وكل ما ذكرتموه تمويهات.

فأما قولهم: إن العرب تقول: نظرتُ إلى الهلال فلم أره، فهذا اختلاق منهم وتَخَرُّصٌ وإدخال في اللغة ما ليس منها، وافتراء على أهل اللسان.

والعرب لا تقول: نظرت إلى الهلال فلم أره، وإنما تقول: نظرت إلى السماء، أو إلى العرب فلم أر الهلال، وأما قولهم: نظرتُ فرأيتُ فهذا غير بعيد، ومسلكه مسلك التأكيد، والعرب قد توالي بين لفظين منبئتين عن معنى واحد، ونظائر ذلك كثيرة في اللغة.

قال امرؤ القيس:

كجُلمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السيلُ مِنْ عَلِ

فأضاف الجلمود إلى الصخر، وهما بمعنى واحد.

والدليل عليه أنه يحسن أن يقول القائل: أدركته فرأيته، وإن كانا جميعًا يرجعان إلى معنى واحد، وإنما لا يحسن قول القائل: رأيته فرأيته؛ لتماثل اللفظين، والأغلب في كلام العرب إذا قصدت التأكيد المغايرة بين الألفاظ.

قلت: ولئن سلمنا أن العرب تقول «نظرتُ إلى الهلال فلم أره»، فإنما معناه: نظرتُ إلى جهة الهلال، وموضعه، ومطلعه، ومَظِنَّة ظهوره، وكذا قولهم: «نظرتُ فرأيتُ» أي نظرتُ إلى وجهة

كذا فرأيته فهذا تأويل صحيح.

قال: وأما قولهم إن العرب أطنبت في وصف النظر نظمًا ونثرًا، وذكرت التحديق والنظر شزرًا فذلك من ركيك الكلام؛ فإنه لا يبعد وصف الرؤية الحقيقية بما ذكروه، ولا معنى لقولهم إن العرب لا تصف إلا ما ترى، فإنها كما تصف المرئيات تصف ما لا يُرى في استمرار العادات كالشجاعة، والبسالة، والجبن، والبر والعقوق، والشوق ونحوها.

ثم نقول: هذا الذي تشبثتم به يعارضه فن من كلام العرب لا يُمنع ولا يُدفع وذلك أنهم يصفون النظرة في النسيب والتشبيب بأنها تأتي على الواقعين العاشقين، فهذا ونحوه يدل على أن النظر هو الرؤية الحقيقية.

قال: ومن الدليل على ذلك إجماع المسلمين على أن الله تعالى يوصف بالنظر إلى خلقه على معنى الإبصار والرؤية، فيقال: الله ناظر إلى خلقه، كما يقال إنه راءٍ لهم، وما عَدَّ أحد من الإسلاميين لفظ النظر في حُكْم ما ورد له سبحانه وتعالى من الألفاظ المأولة المشكلة كالمجيء والنزول، والاستواء[١٣٧] ونحوها فبطل ما صاروا إليه من كل وجه.

قال: ثم ما ذكرناه تكلُّفٌ نحن عنه مستغنون؛ فإنهم إذا حملوا النظر على التحديق وتقليب الحاسة فقد خرقوا إجماع نفاة الرؤية ومثبتيها جميعًا؛ فإن مثبتي الرؤية حملوا النظر في الآية على الرؤية

---

(١٣٧) وليس شيئًا من هذا مشكلًا عند أهل السنة بفضل الله.

تحقيقًا، ومن نفى الرؤية ظنًّا منه أنها تقتضي تشبيهًا وتشكيلًا، ومقابلة، واختصاصًا بجهة فهو يمنع حمل النظر على التحديق إلى الرب أولى؛ فإن ذلك يتضمن ـ على زعمهم ـ التصريح بالجهة، فلا وجه لما ذكروه إلا أن يقدِّروا منظورًا إليه غير الإله، وقد تقدم إبطاله.

قلت: النظر والرؤية واحد إذا عُدِّي بـ «إلى»، ولهذا قال الفرزدق:

قيامًا ينظرون إلى سعيد　　　كأنهم يرون به هلالًا

فجمع بين النظر والرؤية، ولم يقل كأنهم ينظرون .

ولئن سلمنا أن النظر يجوز إطلاقه على غير الرؤية، فقد بين الله تعالى ماذا أراد بالنظر على لسان نبيه ﷺ المبين عنه ما أنزل عليه بقوله: «إنكم سترون ربكم» على ما سبق من الأحاديث الصحيحة.



فصل

في جواز رؤية الله تعالى في الدنيا بالأبصار

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري[١٣٨] رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في رسالته[١٣٩] في باب إثبات كرامات الأولياء :

فإن قيل: فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة؟

فالجواب عنه أن الأقوى فيه أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه.

قال: ولقد سمعت الإمام ابن فورك يحكي عن أبي الحسن الأشعري أنه قال في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير.

وقال الإمام أبو القاسم الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «شرح الإرشاد»:

اعلم أنَّا لو خُلِّينا وعقولنا لجوزنا رؤية الله في الدنيا والعقبى لكل أحد من الأحياء إلا أنه ورد السمع بخلاف ذلك، والمرجع فيه إلى السمع.

---

(١٣٨) عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، الفقيه الشافعي الأديب الصوفي، توفي سنة ٤٦٥ هـ.

(١٣٩) الرسالة القشيرية (ص١٧٥).

قال: ولو ادعى بعض الأولياء اليوم أنه رأى الله تعالى هل يُصَدَّقُ أم لا؟.

اختلف قول أبي الحسن في ذلك، فقال مرة: لا يُصَدَّق؛ لأن موسى عليه السلام حُجِب عن الرؤية[١٤٠].

وقال مرة: يُصَدَّقُ؛ فإن موسى وإن حُجِب، ولم يُجَبْ إلى ما سأل فلقد خُصِّص بأنواع من الكرامات والقربات، والاصطفاء والفضائل ما لعله يربي ويزيد على الرؤية؛ لأن الرؤية من حيث إنها رؤية لا تقتضي كرامة، وإنما الكرامة في قرائنها، فقد يقترن بالرؤية أعظم هول ومخافة كمن يرى العدو والسبع، فإنه يخلق عند إياهما أمور هائلة، وكراهية شديدة، وقد يرى صديقه فيخلق له عند رؤية إياه أكمل سرور، وأتم نعمة ولذة، ويرى أمه فيجد في قلبه رحمة وشفقة وحرمة، ويرى أباه عند ذلك تعظيمًا وهيبة، فإذًا تختلف أحوال الرائين بالقرائن.

قال: ونحن لا نبعد أن يرى الكافر ربه ويخلق له عند رؤيته أعظم هول ومخافة، وأشد عقوبة.

---

(١٤٠) وهذا القول الصحيح المعتمد، وخير الأولياء وأسيادُهُم هم الصحابة رضوان الله عليم، قد أخبرهم النبي ﷺ أنهم لن يروا الله في حياتهم الدنيا فقال لهم: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» .

وهذا الذي قرَّره شيخ الإسلام، فذكر أن الله تعالى لا يراه في الدنيا أحد من الأحياء، وإنما يقع ذلك للمؤمنين بعد الموت .

وهو اختيار الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ كما في «فتاوى نور على الدرب».

قال: وإنما نحن الأصفيان إلى رؤية الله تعالى؛ لما قد ورد في الأخبار أنه يخلق لهم عند ذلك أتم كرامة، وأكمل سرور، وأعظم قربة، أشرف منزلة ونعمة، رزقنا الله ذلك بمنه فضله.

قال: واختلفوا في أنه سبحانه هل يُرى في المنام؟

فجَوَّزه معظم المثبتة، وامتنع منه آخرون.

قال: ولا فائدة في الاختلاف في ذلك؛ فإن الرؤيا خواطر، واعتقادات، ولها تأويل صحيح، وهكذا نقول في قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي»[١٤١].

وقد يُرى في وقت واحد في أماكن مختلفة وعلى صور متباينة، ولكن المعنى له تأويل صحيح.

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ : اعلم أن الخلاف في هذا غير متصور بعد الكشف عن حقيقة هذه المسألة والحق أنَّا نطلق القول بأن الله تعالى يُرى في المنام[١٤٢]،كما نطلق أنه يُرى رسول الله ﷺ في المنام، ثم أخذ في تقرير ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: والذي نختاره القول الأول من قولي أبي الحسن وهو أنه لا يُصَدَّق مدعي رؤية الله تعالى في الدنيا يقظة؛ فإن شيئًا مُنِع منه كليم الله موسى عليه السلام واختُلِف في حصوله لنبينا محمد ﷺ

---

(١٤١) صحيح البخاري (٦٩٩٣، ٦٩٩٤) وصحيح مسلم (١٠/٢٢٦٦).

(١٤٢) وقد صح أن النبي ﷺ رأى ربه في المنام في أحسن صورة، وهو حديث اختصام الملأ الأعلى، وقد شرحه ابن رجب الحنبلي في رسالة له باسم: «اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى».

كيف يُسمح به لمن لا يصل إلى مقامهما؟! هذا مع قول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وقد حمله أصحابنا كما تقدم على أن ذلك نفي للرؤية في الدنيا.

وأما جواز رؤية الكافر ربه فقد سبق ما يدل على وقوع ذلك في الآخرة[١٤٣] وتكون رؤية هيبة وعقوبة له على ما قرره الإمام الأنصاري.

وقد تكلم أبو القاسم السهيلي في شرح سيرة النبي ﷺ[١٤٤] على ما جاء في رؤيته الله تعالى فقال: قد تكلم العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه تعالى ليلة الإسراء فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه، وقالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفِرْية، واحتجت بقوله سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

وفي «مصنف الترمذي»[١٤٥] عن ابن عباس، وكعب الأحبار أنه رآه.

قال كعب: إن الله قَسَمَ رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ﷺ.

وفي «صحيح مسلم»[١٤٦] عن أبي ذر قلت: يا رسول الله هل

---

(١٤٣) وهو حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري.

(١٤٤) وذلك في كتابة الفائق «الروض الأُنُف»: (٢/٢٠١).

(١٤٥) «جامع الترمذي» (٣٢٧٨) من طريق مجالد عن الشعبي قال .... فذكره، وإسناده ضعيف؛ لضعف مجالد .

(١٤٦) صحيح مسلم (١٧٨/٢٩٢) .

رأيت ربك؟ قال «رأيتُ نورًا».

وفي حديث آخر من كتاب مسلم قال: «نورٌ أنى أراه؟!»[(١٤٧)].

قال السهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ : [(١٤٨)] وليس في هذا الحديث بيان شافٍ أنه رآه.

وقد حكي عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: رآه بعيني رأسه.

وفي «تفسير النقاش»[(١٤٩)] عن ابن حنبل أنه سُئل هل رأى محمدٌ ربَّه، فقال: رآه رآه رآه. حتى انقطع صوته[(١٥٠)].

وفي «تفسير عبد الرزاق» عن معمر عن الزهري، وذكر إنكار عائشة أنه رآه فقال الزهري: ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس.

وفي «تفسير ابن سلام» عن عروة أنه كان إذا ذكر عائشة رضي الله عنها أن يكون النبي ﷺ رأى ربه يشتد ذلك عليه.

قال: وقول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه المسألة كقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رآه.

---

(١٤٧) صحيح مسلم (١٧٨/٢٩١) .

(١٤٨) «الروض الأنف» (٢٠١/٢) .

(١٤٩) تفسير النقاش كله ظلام وأباطيل، والنقاش هذا كان يكذب في الحديث، وتفسيره يُسمى «شفاء الصدور» قال اللالكائي: تفسير النقاش أشفى الصدور [يعني أهلكها وأوبقها] لا شفاء الصدور.

(١٥٠) هذه الحكاية كذبٌ، لا تصح عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا يصح عنه أنه قال بالرؤية البصرية لا في ليلة المعراج ولا غيرها، راجع «المسائل المروية عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة» (١٤٥/٢ - ١٥١).

روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال: سأل مروان أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم.

وفي رواية يونس: أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقال: نعم رآه، فقال ابن عمر: فكيف رآه؟ فقال ابن عباس كلامًا كرهتُ أن أورده بلفظه؛ لما يوهم من التشبيه. ولو صح لكان له تأويل والله أعلم.

قال السهيلي رحمه الله : والمتحصل من هذه الأقوال أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى، والنعيم الأكبر، ولكن دون ذلك.

قال: وإلى هذا يومئ قوله «رأيت نورًا» و «نور أنى أراه؟!» في الرواية الأخرى والله أعلم.

قلت: وقد حققنا الكلام إن شاء الله تعالى في هذه المسألة في جزء رددنا به على بعض الحنابلة المتعصبين، وبالله التوفيق.



فصل

للإمام أبي حمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام حسن في رؤية الله تعالى[(١٥١)]..

قال في آخِرِ كتاب الموت من «كتاب الإحياء»[(١٥٢)]:

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى، وهي اللذة الكبرى الذي ينسى فيها نعيم الجنة، وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة، وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة، ثم ذكر حديث

---

(١٥١) أكثر هذا الكلام ليس بحسن، بل في غاية الضعف والوهاء والنكارة، وقد كان المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ غنيًا عن إيراد مثل هذا الكلام الذي أغلب مادته صوفية وكلامية وفلسفية، والغريب أن المصنف يستحسنه ولم ينكر ما فيه من طوام وبلايا!!.

(١٥٢) كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه جملة كبيرة من الأحاديث الباطلة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من طريقة المتصوفة والفلاسفة المنحرفة عن العلم النافع.

والعلم النافع هو ما نزل به القرآن وفسره الرسول ﷺ قولًا وفعلًا.

هذا ملخص كلام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (٣٣٩/١٩) .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٥٥/١٠) أن كتاب «إحياء علوم الدين» فيه مواد مذمومة وفاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد .

والخلاصة: أن هذا الكتاب فيه نفع، وفيه شر وإثم لكن إثمه أكبر من نفعه، فلا ينبغي أن يقرأ فيه إلا طالب العلم صاحب العقيدة السلفية الصحيحة الراسخة.

جرير، وصهيب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وقد تقدم ذلك، ثم قال: وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة، وهذه غاية الحسنى، ونهاية النعمى، وكل ما فصلناه من النعيم عنده ينسى، وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، فلا ينسب شيء من الجنة إلى لذة اللقاء، فلا ينبغي أن يكون همة العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى، فأما سائر نعيم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المُسْرَحَة في المرعى.

وقد قيل ذلك في كتاب المحبة، وهو السادس من ربع المنجيات من كتاب «إحياء علوم الدين» بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى، والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذات.

اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات، ثم ساق الكلام إلى أن قال: ألذ المعارف أشرفها، وأشرفها بحسب شرف المعلوم، فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل، والأشرف، والأعظم، فالعلم به ألذ العلوم لا محالة، وأشرفها، وأطيبها، وليت شعري هل في الوجود شيء أجل، وأعلى، وأشرف، وأكمل، وأعظم من خالق الأشياء كلها، ومكملها، ومزينها، ومبديها، ومعيدها ومدبرها، ومرتبها؟

وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك، والكمال، والجمال، والبهاء، والجلال أعظم من حضرة الربوبية الذي لا يحيط بمبادئ جلالها، وعجائب أحوالها وصف الواصفين ثم أطال الكلام في

تقرير ذلك إلى أن قال: فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء، وأنه لا لذة فوقها، ولهذه قال أبو سليمان الداراني[١٥٣] (إن لله عبادًا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ورجاء الجنة، فكيف يشغلهم حب الدنيا عن الله؟)[١٥٤].

ولذلك قال بعض إخوان معروف له: أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت فقال: ذكر الموت.

فقال: وأي شيء الموت؟ فقال: ذكر القبر والبرزخ.

فقال: وأي شيء القبر؟ فقال: خوف النار، ورجاء الجنة.

فقال: وأي شيء هذا؟ إن ملكًا بيده هذا كله إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا.

وفي أخبار عيسى ابن مريم عليهما السلام: إذا رأيت الفتى مشغوفًا في طلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه.

---

(١٥٣) عبد الرحمن بن أحمد، أبو سليمان الداراني، الإمام الزاهد الكبير .

(١٥٤) هذا الكلام فيه نظر، ولكنه يجري على طريقة جماعة من المشتغلين بالزهد والعبادة - ويشهد الله أننا لا نساوي قلامة ظفرهم في هذا الباب - ولكن هذا الكلام لا يجري على طريقة السلف الصالح المأخوذة عن الصحابة والتابعين، وأصل طريقة السلف: القرآن والسنة، وقد أثنى الله ﷻ على رسله وأنبيائه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يعني رغبًا في الجنة ورهبًا من النار.

وخوف النار ورجاء الجنة لا يشغل العبد عن الله أبدا، فما افترضه الداراني أصلًا لا يصح، والله أعلم .

ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال: ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق؟ قال: تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان فقلت: فأنت؟ فقال: قد علم الله قلة رغبتي في الأكل والشراب فأعطاني النظر إليه.

وعن علي بن الموفق قال: رأيت في النوم كأني أُدخلت الجنة فرأيتُ رجلًا قاعدًا على مائدة، وملكًا عن يمينه وملكًا عن شماله يلقمانه جميع الطيبات، وهو يأكل، ورأيتُ رجلًا قائمًا على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فَيُدْخل بعضًا، ويرد بعضًا.

قال: ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيتُ في سرادق العرش رجلًا قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف، فقلتُ لرضوان(١٥٥) من هذا؟ فقال: معروف الكرخي، عبد الله لا خوفًا من ناره، ولا شوقًا إلى جنته، بل حبًا له فأباحه الله النظر إليه إلى يوم القيامة وذكر أن الآخرين: بشر بن الحارث، وأحمد بن حبل(١٥٦).

قلت: الظاهر أن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ هو المتصفح للوجوه فيعرف أهل السنة من أهل البدعة، وبشر بن الحارث هو الذي يلقمه الملكان، ولا منافاة بين هذا الكلام والذي قبله؛ فلقلة رغبته في

---

(١٥٥) لا يصح تسمية الملك الموكل بالجنة وأهلها ونعيمها بهذا الاسم، لأنه لا خبر صحيح يؤيده.

(١٥٦) الله أعلم بصدق هذه الحكاية، لكنها رؤية منامية فكان ماذا؟!

بل هذا أحد المآخذ على كتاب الغزالي، يعني اعتماده فيما يريد تقريره على الرؤى المنامية!!!.

الطعام أكرمه الله تعالى بتلقيم الملكين له، ثم أباحه النظر إلى وجهه الكريم جل وعلا.

ثم قال أبو حامد رَحِمَهُ اللَّهُ :

ولذا قال أبو سليمان الداراني: من كان اليوم مشغولًا بنفسه فهو غدًا مشغول بنفسه، ومن كان اليوم مشغولًا بربه فهو غدًا مشغولًا بربه.

وقيل لرابعة[١٥٧] : ما حقيقة إيمانك؟.

قالت: ما عبدته خوفًا من ناره، ولا حبًّا لجنته، فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبًّا له، وشوقًا إليه[١٥٨].

وقالت في معنى المحبة نظمًا[١٥٩]:

أحبك حبين حب الهوى وحبًّا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

فلا حمدَ في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

قال: ولعلها أرادت بحب الهوى: حب الله ؛ لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظها العاجلة، وحبها لما هو أهله الحب لجماله،

---

(١٥٧) رابعة بنت إسماعيل البصري، العدوية، كانت امرأة صالحة، وغلب عليها التصوف. توفيت سنة (١٣٥، وقيل ١٨٠، وقيل ١٨٥).

(١٥٨) هذا الكلام كله ساقط، لا ينبغي الالتفات إليه.

(١٥٩) وهذا منكر من القول وزور.

وجلاله الذي انكشف لها، وهو أعلى الحبين، وأقواهما.

ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها الله ﷻ حيث قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(١٦٠).

قال: وقد يتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية، ولذلك قال بعضهم: إني لأقول يا رب، يا الله، فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال؛ لأن النداء يكون من وراء حجاب، وهل رأيت جليسًا ينادي جليسه(١٦١).

وقال: إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة(١٦٢)، أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقول جنونًا، وكفرًا(١٦٣)، فمقصد العارفين كلهم وَصْلُة ولقاؤه فقط، فهي قرة العين، التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، وإذا حصلت انمحقت الهموم، والشهوات كلها، وصار القلب مستغرقًا بنعيمها، فلو ألقي في النار لم يحس بها؛ لاستغراقه(١٦٤)، ولو عُرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه(١٦٥)، وبلوغه الغاية التي

---

(١٦٠) صحيح البخاري (٣٢٤٤) وصحيح مسلم (٢/ ٢٨٢٤).

(١٦١) هذا القول فيه نكارة ظاهرة، وقد قال النبي ﷺ في أكثر أدعيته: «يا رب»، و«اللهم» ولا أدري ما حاجة المصنف لِذكْرِ هذا الكلام .

(١٦٢) وهو خليق بأن يرمى بالحجارة حتى يرجع عن هذا الكلام الساقط.

(١٦٣) وهو كذلك حقًا .

(١٦٤) وهذا كلام أهل الاتحاد، الزنادقة، المارقين عن الإسلام .

(١٦٥) ليت المصنف حذف هذا الكلام من كتابه .

ليس فوقها غاية، وليت شعري من لا يفهم إلا حب المحسوسات، كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله وما له صورة ولا شكل، وأي معنى لوعد الله به عباده، وذكره أنه أفضل النعيم، بل من عرف الله عرف أن اللذات المقترنة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة.

كما قال بعضهم:

كانت لقلبي أهواء مفرقة
فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده
وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وقال آخر: امتحن الله به خلقه فالنار والجنة في قبضته، وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته.

قال أبو حامد رَحِمَهُ اللَّهُ : وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل، والشرب؛ والنكاح؛ فإن الجنة معدن تمتع الحواس، فأما القلب فلذاته في لقاء الله فقط.

ثم قال: وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب، ويشتغل بطلب الرئاسة، فكذلك الرؤساء يضحكون على من ترك الرئاسة واشتغل بمعرفة الله.

والعارفون يقولون: ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا

﴿تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

ثم قال: الرؤية غاية الكشف، وكما أن سنة الله تعالى بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية، ويكون حجابًا بين البصر، والمرئي، ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية، وما لم يرتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيل، فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن، ومقتضى الشهوات، وما غلب عليها من الصفات البشرية فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة، واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار، ولذلك قال الله تعالى لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ، وقال ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي في الدنيا، والصحيح أن رسول الله ﷺ ما رأى الله تعالى ليلة المعراج فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث، والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها، فلا تقبل الإصلاح، والتصقيل، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله منه.

ومنها ما لم ينته إلى حد الرَّين، والطبع، ولم يخرج عن قبول التزكية، والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به، ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية، وأقلها لحظة، وأقصاها في حق المؤمنين ـ كما وردت به الأخبار ـ سبعة آلاف سنة، ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا وتصحبها

غبرة وكدورة ما وإن قلت، ولذلك قال تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾.

فإذا أكمل الله تطهيرها، وتزكيتها، ووقع الفراغ من جملة ما وعد به الشرع من العرض، والحساب، وغيره، ووافى استحقاق الجنة، فعند ذلك يستعد بصفائه، ونقائه عن الكدورات لأن يتجلى فيها الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليًا يسمى رؤية.

فالرؤية حق بشرط أن لا يفهم منها تصور مخصوص بجهة، ومكان(١٦٦)؛ فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوًا كبيرًا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة تامة من غير تخيل وتصور، فتراه في الآخرة كذلك، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف، والوضوح، وتنقلب مشاهدة، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا؛ لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة، كما ينقلب النوى شجرًا، والبذر زرعًا، ومن لا نوى له كيف يحصل له نخل؟ ومن لم يزرع البذر كيف يحصد الزرع؟

فمن لا يعرف الله في الدنيا كيف يراه؟.

ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة التجلي أيضًا على درجات متفاوتة، فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف

---

(١٦٦) تقدم التنبيه على أن هذا الكلام فيه تفصيل.

كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذور إذ تختلف لا محالة بكثرتها، وقلتها، وحسنها وقبحها، وقوتها وضعفها، ولذلك قال النبي ﷺ: «إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة»[١٦٧] فلا ينبغي أن تظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر، والمشاهدة ما يجد أبو بكر، ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به.

قال: وكما أنك لا ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرئاسة على المنكوح، والمطعوم، وترى من يؤثر لذة العلم، وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض، وسائر أمور الإلهية على الرئاسة، وعلى المنكوح والمشروب جميعًا، فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة؛ إذ يرجع نعيمها إلى المنكوح والمطعوم، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من إيثار لذة العلم والمعرفة، والاطلاع على أسرار الربوبية على المنكوح، والمشروب، وسائر ما الخلق مشغولون به، ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة؟ قالت: الجار ثم الدار، فتبين أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة به إلى رب الأرباب.

ثم ساق أبو حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامه إلى أن قال: فإن قلت: هذه الرؤية محلها القلب أم العين في الآخرة؟

فاعلم أن الناس اختلفوا فيه وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى ذلك، ولا ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة،

---

(١٦٧) حديث موضوع .

ومن يشتهي رؤية محبوبه يشغله حبه أن يلتفت إلى رؤيته خلقت في عينه أو في جبهته، بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كانت بالعين أو غيرها؛ فإن العين محل، وظرف لا نظر إليه ولا حكم له.

والحق فيه: أن القدرة الأزلية واسعة، فلا يجوز أن يحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين، هذا حكم الجواز.

فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع.

والحق: ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع تجري على ظاهرها؛ إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا بضرورة والله أعلم.

وقال أبو حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التفرقة:

نفي المعتزلي الرؤية عن الباري سبحانه وتعالى بدعة وليس بكفر.

واعلم أن شرح ما يكفر به وما لا يكفر به يستدعي تفصيلًا طويلًا فاقنع بوصية وقانون. أما الوصية: فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين.

والمناقضة: تجويزهم الكذب عل رسول الله ﷺ بعذر أو بغير عذر؛ فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه.

وأما القانون: فهو أن تعلم أن النظريات قسمان:

قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع.

وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله تعالى، وبرسوله، وباليوم الآخر، وما عداه فروع.

واعلم: أنه لا تكفير في الفروع أصلا لكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات. وفي بعضها تبديع: كالخطأ المتعلق بالإمامة، وأحوال الصحابة.

قال: والكفر هو تكذيب الرسول ﷺ في شيء مما جاء به.

والإيمان: تصديقه في جميع ما جاء به.

والتكذيب: أن يزعم أن ما قاله لا معنى له، وإنما هو كذب محض.

ولا يلزم الكفر المتأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل، وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إلى التأويل، وأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون: أحمد بن حنبل صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط[١٦٨]:

«الحجر الأسود يمين الله في الأرض»[١٦٩].

---

(١٦٨) هذا لا يصح عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى (٥/٣٩٨).

(١٦٩) حديث باطل لا يصح مرفوعًا، راجع «شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٢٤٧-٢٤٩).

«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»[١٧٠].

«إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»[١٧١].

قال: ولو أمعن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النظر العقلي لظهر له تأويل ظواهر كثيرة.

قال: وأقرب الناس إلى الحنابلة في أمور الآخرة الأشعرية؛ فإنهم قرروا فيها أكثر الظواهر إلا اليسير.

والمعتزلة أشد منهم توغلًا في التأويلات والله أعلم.

قلت: ولنختم الكتاب بحكاية طريفة رواها الحافظ أبو بكر الخطيب بإسناده.

قال: لما مات بشر بن غياث المريسي لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد إلا عبيد الشونيزي فلما رجع من جنازته أقبل عليه أهل السنة والجماعة، وقالوا له: يا عدو الله، تنتحل السنة، وتشهد جنازة المريسي؟ فقال: انظروني حتى أخبركم ما شهدت جنازة رجوت بها من الأجر ما رجوت في شهود جنازته.

لما وضع في موضع الجنائز قمت في الصف فقلت: اللهم إن عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر المؤمنون إليك، اللهم إن عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر، اللهم فعذبه اليوم في قبره عذابا لم تعذبه أحدًا

---

(١٧٠) صحيح مسلم (٢٦٥٤/١٧).

(١٧١) حديث ضعيف راجع «السلسة الضعيفة» (١٠٩٧) و«شرح القواعد المثلى» (ص٢٥٩-٢٦٠) .

من العالمين، اللهم إن عبدك هذا كان ينكر الميزان، اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة، اللهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة اللهم فلا تشفع فيه أحدًا من خلقك يوم القيامة، قال: فسكتوا عنه وضحكوا.

وهذا آخر ما أردنا جمعه في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.



الموضوع الصفحة

تحت الطبع

نتائج الأفكار
في
شرح حديث سيد الاستغفار

صنفه الإمام السفاريني

رحمه الله تعالى

علق عليه وخرج أحاديثه

أبو يعقوب

نشأت بن كمال المصري

عفا الله عنه

الناشر

دار السراج المنير للطبع والنشر

القاهرة: ٠١٠٦٦٨٠٩٥٧

دار السراج المنير
للطبع والنشر

